السلسلة السياسية

١٢

الصراع على الخليج العربي

تأليف

سليم طه التكريتي

بغداد
١٩٦٦
وزارة الثقافة والارشاد

مُقـدّمَة

نقصد بالخليج العربي ما اصطلح عليه باسم خليج البصرة منذ ان قامت هذه المدينة الشهيرة في عهد الخلفاء الراشدين ٠

والخليج العربي في عرف ربابنة البحار وقادة السياسة والحرب هو تلك البحيرة الضيقة شبه المقفلة التي تمتد جنوب الفاو أقصى مدن العراق الرسمية في الجنوب والتي تختلط بالبحر العربي الممتـد جنوبي الجزيرة العربية والمصاقبة للمحيط الهندي ٠

فهذه البحيرة المقفلة التي يقع العراق في شمالها وايران في شرقيها والكويت وقطر ودبي وأبو ظبي ومسقط وعمان في غربيها ، هذه البحيرة كانت منذ بدء التأريخ تحتل أهمية خاصة في التوزيع البشري في العالم ، وفي أحكام الترابط والاتصال بين أجزائه المتفرقة البعيدة ٠

ففي خلال الخمسة آلاف سنة التي مرت منذ أن ظهر السومريون حتى الآن شهدت شواطىء الخليج العربي من التطورات ما لم تشهده بقاع أخرى في المعمورة ٠

فعلى شواطىء الخليج العربي قامت أعرق الحضارات وشيدت أقدم الممالك والمدن ٠

فهذه الصحارى الملتهبة برمالها الساخنة وصخورها الجرداء التي كانت

تمتد حتى شــواطىء الخليج العربي ولا تقف الا لتعانق ميــاهه الملحية الصاخبة ، هذه الصحراء كانت تقذف بالبشر الذين يظهـــرون فيهـا أو يجتازونها الى تلك الشواطيء وليقفوا مشدوهين حائرين ما الذي يصنعون بهذا البحر الهائج ولججه المخيفة بعد ان هربوا من بحار الرمال ومتاهاتها القـاتلة ٠

لكن البشر وهو يريد أن يعيش ويحافظ على نوعه كان لابد له من المكوث وكانلا مناص له من العمل ٠

ومن هنا انبثقت المـدن الشهيرة على سواحل الخليج العربي تعـج باناس كان البحر هو رفيقهم الوحيد وسميرهم في الليالي والايام ٠

كان كل ما هيـــأه البحر للبشر الساكن على شواطئـه هو السمك يصطاده ليعيش به ثم ليقايض ما يفيض منه بمتاع آخر وما لبثت صناعة صيد الاسماك ان هدت سكان الخليج الى صيد ادسم وفتحت أمامهم مجالات أوسع للثراء ٠ لقد عرفوا اللؤلؤ وقدروا قيمته وحذقوا أصول الغوص عليه والتقاطه من باطن البحر المحيط ثم ما فتأوا أن عرفوا كيف يركبون البحر ويخضعون أمواجه المتلاطمة لقوة سواعدهم المفتولة وهكذا حذق ســكان شــواطىء الخليج العربي الى جانب صيد الاسماك واللآلىء حرفة المـلاحة وايصال الشرق بالغرب ٠

وكان طبيعيا أن يجلب السمك واللؤلؤ والذهب والفضة والحرير والبخور من أقاصى الشرق وان تنقلها السفن التي تمخر عباب الخــليج العربي الى افريقياو أوربا ، وأن تجتذب « هرمز » و « تريدون « و «شوشة» و « تبلوس » ـ وهي المـــدن العظمى التي قامت على شواطىء الخليج في العصور الساحقة ـ طلاب الثروة ورواد المال من مختلف أنحاء العالم لتصبح من أعظم المراكز التجارية التي شهدها ذلك العصر ٠

ولم يلبث العنصر العربي الذي كانت الصحراء العربية الكبرى تقذفه بموجات متلاحقة تلاحق كثبان الرمل التي تظهر هنا اليوم وتختفي في الغد، ما لبث هذا العنصر العربي أن استقر في تلك الشواطىء وان حذق الصيد والاقلاع فيالبحر فاذا به يهيمن على شؤون الملاحة في الخليج العربي ويحتكر وسائل التجارة فيه ، واذا به يمد نشاطه خارج تلك البحيرة الضيقة شبه المغلقة ليبلغ شواطىء افريقيا الشرقية والجنوبية معا وليصل سواحل الهند والصين ويؤسس فيها نقاط المتاجرة والاتصال ٠ حتى اذا قامت الدعوة

الاسلامية وتوالت الفتوحات العربية أصبح الخليج العربي نقطة انطلاق جديدة للعنصر العربي وسببا رئيسيا من أسباب سيطرته حتى على المحيط الهندي واحتكار الملاحة فيه وتحويل ذلك المحيط وما اتصل به من بحار وخلجان الى « مستعمرة عربية » خالصة ٠

ومع ان النظرة الى الخليج العربي كنقطة اتصال بين الغرب والشرق ظلت تحتفظ بالدرجة الاولى من الاهمية طيلة عصور التاريخ الا ان خطورة الخليج لم تكن لتقتصر على ذلك ٠

فلقد تطورت تلك النظرة وتغيرت تبعا لتطور الاوضاع السياسية في العالم من ناحية ومن ناحية أخرى وفاقا لتطور موازين القوى في النطاق الـدولى ٠

ان الهجوم الذي بدأه الغرب على الشرق باثارة الحروب الصليبية وبرحلات الاستكشاف التي أعقبتها ثم احتلال الاوربيين لافريقيا والاجزاء الجنوبية والجنوبية الشرقية من آسيا » ان هذا الهجوم كان يمثل نظرة جديدة نحو الخليج العربي والبقاع التي يربط بينهما ٠

فبعد أن كان ينظر الى الخليج العربي على انه موطـــن صيد اللؤلؤ الثمين الذي يدر الارباح الطائلة على المتاجرين به من أبناء الشرق والغرب معا » أصبح الخليج العربي في نظر أوربا المتحفزة الى الفتح حين بدأت أول حملة صليبية على الشرق المسلم ، المفتاح الذي يفتح مغاليق الشرق كله والباب الذي تستطيع أوربا أن تدخل منه الى الهند والصين تلك العوالم الجديدة الغنية بالكنوز الفريدة والمنتجات الوفيرة التي كانت تتوق أوربا الى اقتناء المزيد منها بأي ثمن كان ٠

وهكذا تحول الخليج العربي من موطن لصيد اللؤلؤ الى « جسر » تستطيع اوربا أن تعبر عليـــه الى الشرق العتيد ذي الحضارات الرائعـة والثروات الهائلة ومفاتن السحر والجمال ٠

وحين أخفقت الحروب الصليبية ، نتيجة الضربة الماحقة التي وجهها البطل المسلم صلاح الدين الايوبي الى الجيوش الصليبية التي كانت تحتل فلسطين وسوريا ، حين أخفقت تلك الحروب في تحقيق أهدافها وهي استيلاء أوربا على الشرق لم تمت أحلام المغامرين الاوربيين في معاودة الكرة والوصول الى الخليج العربي مفتاح ذلك الشرق العجيب ٠

فلقد كان ازدهار التجارة في أوربا وبدء الثورة الصــناعية في بعض

أقطارها يستلزمان الاستيلاء على المنابع الرئيسية للمواد التي كانت تؤلف الركن الاساسي لتجارة أوربا ، والاستحواذ على المواد الخام التي تعتمد الصناعة عليها •

كان الخليج العربي حتى أواخر القرن الرابع عشر يمثل واحدا من طريقين رئيسين ينقلان نفائس الشرق الاقصى والقارة الهندية الى أوربا •

فلقد كانت السفن التي تنقل السلع من بحار الصين واليابان والهند تجوب الخليج العربي فتفرغ حمولتها في البصرة لتنقل من هناك على ظهور الابل والبغال الى حلب فساحل البحر الابيض المتوسط ثم تحملها السفن مرة أخـــرى الى البندقية مفتاح أوربا • ولذلك استهدفت جميع البعثات الاستكشافية والحملات البحرية التي قامت بها اوربا منذ القرن الرابع عشر وما بعده بلوغ الخليج العربي واحتلال نقاطه الستراتيجية تمهيدا للامساك بالخيط التجاري الذي يربط الشرق بالغرب •

حين أبحر كريستوفر كولمبس عام ١٤٩٢ من اسبانيا لم يكن يهدف الى اكتشاف العالم الجديد « امريكا » التي ما كان العالم انذاك ليعرف عنها شيئا ما وانما كان يتطلع الى بلاد الشرق الى الهند والصين بلاد التوابل والعـــاج •

في هذا العصر كانت أوربا كلها تتجه نحو الشرق لتفوز بالمغانم فيه ولتحتكر تجارته وتستغل ثرواته •

وكان أهم ما شغل أوربا آنذاك هو الكشف عن أقصر طريق يوصل ذوي الاطماع من أهل أوربا الى الهند بصفة خاصة وهكذا بدأت رحلات المغامرين الاوائل من أمثال بارتليمو دياز ، وكريستوفر كولمبس ، وفاسكوي دي غاما وغيرهم بهذا الدافع الوحيد ألا وهو اكتشاف أقصر طريق الى الهند•

وكان لابد لهذه الطرق سواء التي تجتاز البحر الاحمر او التي تدور حول افريقيا من أن تمر بالخليج العربي كيما تصل الى هدفها المنشود ألا وهو الهند والشرق الاقصى •

حتى اذا ما استطاع البرتغاليون والفرنسيون والانكليز أن يقتسموا القارة الهندية فيما بينهم في منتصف القرن الثامن عشر كانت أهمية الخليج العربي قد تعاظمت لانه أصبح المعبر الرئيس الى الهند ولما كان احتلال الهند والاستئثار بثرواتها الطائلة لا يمكن أن يتحقق الا بالاستيلاء على « المعبر » الموصل اليها فقد بدأ المتنافسون على ثروات الهند باحتلال الخليج العربي

واقامة المراكز القوية الحصينة على شواطئه ومنذ أوائل القرن السابع عشر أخذت السيادة العربية المطلقة على الخليج العربي والممتد الى افريقيا وأجزاء بعيدة من جنوبي شرقي آسيا تتقلص أمام مغامرات الهولنديين والبرتغاليين والفرنسيين ثم البريطانيين حتى اذا حل القرن الثامن عشر كانت جميع سواحل الجزيرة العربية وشواطىء الخليج العربي تخضع للاستعمارالاوربي لان هذه المناطق كانت تقع « على طريق الهند » وبذلك تطورت مهمة الخليج العربي تطورا آخر فبعد أن كان موطن اللؤلؤ تحول الى معبر يربط اوربا بالشرق ثم استحال في القرن الثامن عشر الى « نقطة حراسة » لطريق الهند •

ولقد شهد الخليج العربي في القرنين السادس عشر والسابع عشر أعنف المعارك البحرية وأشدها ضراوة وكانت هذه المعارك قد بدأت أولا بين الغزاة الاوربيين والعرب المغاوير أهل البلاد الشرعيين ثم استحالت تلك المعارك الى وقائع حاسمة بين الغزاة أنفسهم بين الهولنديين والبرتغاليين وبينهم وبين الفرنسيين وبين البرتغاليين والانكليز وبينهم وبين الفرنسيين حتى تمت الغلبة بعد ذلك للانكليز الذين سيطروا على سواحل الجزيرة العربية وشواطىء الخليج العربي كلها واحتلوا الهند وألحقوا بها بورما والملايو وسنغافورا ودفعوا بمنافسيهم من البرتغاليين والهولنديين والفرنسيين بعيدا فلم يعد لدى البرتغال في الهند كلها سوى منطقة « غوا » التي حررتها حكومة نهرو سنة ١٩٦١ ولم يبق لفرنسا موطن قدم لا في الهند ولا في الجزيرة العربية ولا في مصر أبدا •

ومنذ ذلك التأريخ حتى مطلع القرن العشرين ظل الخليج العربي يمثل في نظر بريطانيا المسيطرة عليه «كلب حراسة» لطريق الهند درة التاج البريطاني •

غير ان اكتشاف البترول في ايران أولا وفي العراق ثانيا لفت الانظار الى هذه الشواطىء الكالحة الجرداء التي تقع على الخليج العربي وما هي الا سنوات واذا بالذهب الاسود يتفجر على تلك الشواطىء ليفيض بالخير والبركة ليس لسكانها الذين كانوا يحيون حياة تأنفها البهائم وانما للمغامرين الجدد من أساطين رأس المال وارباب المصارف في لندن وباريس ونيويورك •

وهنا يدخل الخليج العربي مرحلة جديدة بالغة الخطورة فهذه البحيرة الضيقة لم تعد موطنا للؤلؤ ولا منطلقا الى الشرق ، ولا معبرا نحو الهند وحسب وانما أصبحت مصدرا لأعظم مادة تلعب اليوم الدور الاول في تقرير سياسة العالم واثارة الحروب واخمادها انها قوة البترول التي أصبحت منذ بداية القرن الحالى بؤرة النزاع الدولى ومثـــار الحروب العالمية وأداة الحرب والسلم معا ٠

سليم طه التكريتي

الفصل الاول

الصراع على الخليج العربي

بين العرب واليونان والفرس والرومان

عرف العرب ركوب البحر قبل أن يبزغ فجر التأريخ بأزمان طويلة • فصنعوا القوارب الصغيرة طلبا لصيد الاسماك فيه أو غوصا على لآلئه • ثم ما لبثوا أن عرفوا استعمال السارى والشـراع وأخـذوا يبنون السفن الكبيرة يمخرون بها الخليج العربي وبحر العرب والبحر الاحمر حتى وصلوا مياه الهند والصين •

وكان وضع الجزيرة العربية ملائما لحركة الملاحة ولازدهار التجارة البحرية فقد كان البحر يحيط بها من جنباتها الثلاث ويمتد فيها سـاحل طويل جدا يبدأ بالسويس على البحر الابيض المتوسط وينتهي بالبصرة على الخليج العربي •

وكانت مصر وايران والهند تمثل اولى المراكز التي اتصل العرب بها بحرا •

وكانت السفن العربية منذ القدم تسلك في ابحارها الى الشرقوالغرب طريقين رئيسين ٠

أولهما انها كانت تنقل البضائع والثروات من الشرق الاقصى والهند فتمخر بحر الصين فالمحيط الهندي ثم البحر العربي فالخليج العربي حتى رأسه الشمالى جنوبي العراق ومن هناك تنقل تلك الحمولات برا عبرالعراق الى حلب فموانىء البحر الابيض المتوسط ليتم نقلها الى البندقية وبقية أنحاء أوربا ٠

أما الطريق الثاني فكان يبدأ من الشرق الاقصى والهند أيضا فيمر ببحر الصين والمحيط الهندي والبحر العربي ثم يدخل البحر الاحمر فترعة السويس ليبلغ سواحل البحر الابيض المتوسط على الساحلين الاسيوي والافريقي ٠ وكانت تتفرع من هذا الطريق طرق ثانوية يسير بعضها الى افريقيا الشرقية وسواحلها وتتحدث الآثار السومرية والاكدية التي عثر عليها في بطون المدن التي اكتشفت حتى الآن في العراق عن الصلات البحرية بين العراق والجزيرة العربية وسواحل الخليج العربي وجزره ٠ وتوضح هذه الآثار ان التجارة قد توطدت في السنة الفين وخمسمائة قبل الميلاد بين « دلمون » [البحرين] وعاصمة الدولة السومرية « لگش » ٠ وان البحرين كانت تصدر الى سومر في ذلك الوقت التمور والنحاس وكانت تحصل على التمور من اليمن أما النحاس فكان يجلب من مناجم « ماغن » أي عمان ٠

وجاء في الآثار أيضا ان « غوديا » ملك سومر العظيم الذي عاش في القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد بعث باسطول له جاب خليج «مارمراتو» أي الخليج العربي فبحر العرب ثم بحر «سوف» أي البحر الاحمر حتىوصل الى « كوبى » على الساحل الافريقي الغربي ٠ وقد عاد ذلك الاسطول من كوبى محملا بالسلع فافرغ حمولته في مدينة سربيلا التي بدأت الرحلة منها والتي تعرف أطلالها الآن باسم تللو على مقربة من الناصرية ٠

وحين استولى سرجون الاكدي سنة ٢٣٦٠ ق٠م٠ على سومر وقضى على مملكة عيلام في فارس اتجه جنوبا الى «البحر الادنى» أو «البحر المر» ، وكلتاهما تسميتان للخليج العربي في ذلك الوقت ، وذلك بقصد اخضاع البحرين لحكمه ٠ وقد استطاعت البحرين أن تتحرر من حكم الاكديين بسرعة لكنهم ما فتئوا أن سيطروا عليها ثانية في عهد الملك « نارام سن » ٠

وتذكر الالواح السومرية ان « سومو ايلو » أمير « لارسا » المعروفة خرائبها الآن باسم سنكره في جنوبي العراق ، والتي ازدهرت سنة ١٨٢٠ ق٠م٠ ، ان هذا الامير بعث بحملة بحرية الى البحرين لجلب الاحجار والمعادن والاخشاب والعاج منها الى سومر ٠

وتشير الالواح المعروفة بالخط المسماري التي عثر عليها سنة ١٩٣٩ في البحرين الى الامير « ريموم » فارس « أغاروم » ٠ وريموم هذا هو شيخ القبائل العربية المعروفة باسم اغاروم والتي كانت تحكم البحرين في عهد البابليين ٠

وعندما تولى سرجون الآشوري الحكم سنة ٧٢٢ ق٠م٠ في اشور اراد هو الآخر أن يقتحم الخليج العربي ويخضع البحرين لنفوذه لكنه لم يستطع الاستيلاء عليها لضعف اسطوله ٠ ويبدو ان سكان البحرين ارادوا ابعاد خطر سرجون عنهم بأن بعثوا اليه بالهدايا الكثيرة ويتحدث سرجون عن عظمته في الالواح التي سجلت تأريخ حياته فيقول « ان اوبيري ملك دلمون الذي يعيش كالسمكة على بعد ستين ساعة وسط بحر الشمس المرتفعة ، قد سمع بعظمتي فاتى الي بهداياه ! » ٠

وعندما استولى سنحاريب ابن سرجون الآشوري على بابل أول مرة ودمرها سنة ٦٨٩ ق٠م٠ بعث ببعض أنقاضها الى البحرين ليخيف سكانها وليجعلهم يواصلون ارسال هداياهم الى آشور ٠

وقد استولى آشور بانيبال [٦٦٨-٦٢٦] ق٠م٠ علىالبحرين فأصبحت ولاية تابعة لمملكته ٠

وقام ملك بابل نبوخذنصر الذي استولى على «صور» في عمان سنة ٥٧٢ ق٠م٠ بتطهير مصبي الفرات ودجلة ٠ وكانت السفن في عهده تأتي من الخليج العربي فتصل حتى مدينة « اوبي » التي قامت مدينة القادسية مقامها على مقربة من نهر « دجيل » ٠

وحتى قبل ذلك التأريخ بزمن طويل أي في الالف الاول قبل الميلاد كانت تقوم على ساحل الخليج العربي مملكة قوية تضم العرب والكلدانيين وتمتد حدودها من مصب نهر الفرات حتى البحرين وقد أطلق عليها اسم « مملكة البحر » وسماها كثير من مؤرخي اليونان باسم « كلديا » ٠

والظاهر ان هذه المملكة كانت تخضع اسميا للدولة الآشورية وقد ثار ملكها ضد سنحاريب ملك آشور الذي حكم ما بين ٧٥٠ و ٦٨١ ق٠م٠

لكن ثورته فشلت فهرب الى ايران • وحينئذ جلب سنحاريب الفينيقيين من صور وصيدا وقبرص الى نينوى فبنوا له عددا من السفن أنفذها فيما بعد الى الخليج العربي لاخضاع الممالك القائمة على سواحله •

يدأ أول صراع بين العرب والفرس في الخليج العربي على عهد الملك داريوش [دارا] الاكبر (٥٢١ ـ ٤٨١ ق•م•) فلاول مرة استطاع الفرس في عهد دارا هذا انفاذ اسطول قوي مخر سواحل الخليج العربي وشبه جزيرة العرب حتى وصل الى مصر •

أما أول احتكاك بين العرب واليونانيين في الخليج فقد حدث في عهد الاسكندر المقدوني الذي توفى ببابل سنة ٣٢٣ •ق•م• فبعد أن دحر الاسكندر دارا ملك فارس في معركة اربيل الشهيرة وانفتحت أبواب العراق وفارس أمامه بنى عددا من السفن في بابل كما نقل عددا آخر اليها من اماكن أخرى • ولقد بعث الاسكندر بثلاث سفن في الخليج العربي بقصد الاستكشاف وكان قادة تلك السفن من الفينيقيين • وقد بلغت احدى تلك السفن الثلاث رأس مصندم في جزر البحرين •

ولم يبذل امراء الدولة السلوقية التي أسسها سلوقوس أحد قواد الاسكندر في العراق أي نشاط يذكر في الخليج العربي ولذلك ظلت السيادة في الخليج خلال تلك الفترة ، أي القرن الثالث قبل الميلاد ، لاهل «جرها» أومملكة البحر التي كانت تقع على ساحل الاحساء وتضم العرب والكلدانيين معا • وكانت « جرها » هذه تتاجر مع العراق وشبه الجزيرة العربية بطريق البر والبحر معا •

وعندما استولى الفرس على بابل ودمروها تدميرا نهائيا سنة ١٣٠ق•م قطعوا بذلك السبيل على اليونانيين والرومانيين في الوصول الى الخليج العربي والسيطرة على تجارته • ومع ذلك فان سيادة الخليج العربي حتى بعد استيلاء الفرس على بابل لم تكن في أيدي الفرس ولا اليونانيين وانما كانت في أيدي العرب أنفسهم حيث تركزت التجارة والملاحة على الخليج في مدن (خاراكس) التي تقع في أقصى فجوة من بلخليج بين دجلة والكارون وأبو لوغوس (الابلة) على شط العرب ، و «تريدون» أي «البصرة» في باب الخليج ، ومدينة عمانة ، اي عمان ، ومدينة «اكيلا» التي كانت تقع عند رأس الحد في البحرين • وكانت هذه المدن مراكز للتجارة مع الهند وايران

والعراق والجزيرة العربية ومملكة تدمر العربية في سورية •

وفي هذه الفترة ظهرت السفن العربية المعروفة بالمدرعات لاول مرة في الخليج العربي • وكانت هذه السفن تصنع من ألواح تربط الى الالياف وهي التي اختص عرب شبه الجزيرة في بنائها وتصديرها وبفضل هذه السفن لعب العرب دورا بارزا في انتظام التجارة داخل الخليج العربي •

أما قيام حكومة روما فلم يشهد منها أول الامر اندفاعا نحو الشرق ورغم النشاط الذي أبداه حكام مصر من الرومان وهم الذين عرفوا باسم البطالسة ، ولا سيما بطليموس الثاني بالشاطىء الافريقي من البحر الاحمر، رغم ذلك كله فقد ظلت التجارة بين مصر والجزيرة العربية في أيدي العرب وحدهم • ويحدثنا المؤرخ اليوناني « اغاثار خيدس » عن القرن الثالث قبل الميلاد فيقول « يبدو انه لا يوجد أي شعب أغنى من السبئيين وأهل «جرها» • وكانوا وكلاء عن أي شيء يقع تحت اسم النقل من آسيا وأوربا وهم الذين جعلوا سوريا البطلسية غنية بالذهب وأتاحوا للفينيقيين تجارة رابحة وآلافا من اشياء أخرى » •

والسبئيون هم أهل دولة « سبأ » العربية الشهيرة في اليمن أما أهل « جرها » فهم سكان مملكة البحرين التي سبق أن ذكرنا انها كانت تقع على ساحل الاحساء على الخليج العربي •

وتدل جميع الشواهد على انه في هذه الفترة كانت مدن بلاد العرب وجزيرة سقطرة تحتكر مراكز التجارة بين مصر والهند في جميع أشكالها وكانت عدن [واسمها القديم «يودايمون» أي السعيدة] واحدة من تلك المراكز التجارية الهامة آنذاك أيضا •

وحاول أحد أباطرة الرومان ، اوغسطس ، أن يحمي خط مواصلاته التجارية مع الشرق ، وانقاذها مما كانت تتعرض له على أيدي العرب ، والوصول الى الخليج العربي • ولذلك أمر اوغسطس بتجريد حملة بحرية وبرية ضد مدن الجنوب العربي وقد بدات تلك الحملة التي كان يقودها ايلبيوس غالوس سنة ٢٤ قبل الميلاد • وقد لحقت الهزيمة بهذه الحملة على أيدي النبط ، وهم عرب ، في أعالي البحر الاحمر حيث تحطمت معظم سفن الحملة وغرقت بما كانت تحمله من رجال وعتاد عند ميناء « ليوكي كومي » في الشمالى الغربي من البحر الاحمر نتيجة المقاومة التي أبداها

النبط ضدها • وقد استأنف الرومان حملاتهم هذه عدة مرات وآخيرا نجحوا في عهد القيصر كلاوديوس في احتلال ميناء عدن في الفترة ما بين ٤١ـ٥٤ ميلادية •

ويحدثنا مؤرخو الرومان من أمثال سترابو وبليني وبريبلوس وغيرهم ان قياصرة الرومان الذين أخفقوا في بسط سلطانهم على بحر العرب والخليج العربي وجدوا أنفسهم مضطرين في النهاية الى عقـــد محالفات مع الامراء العرب في السواحل ولاسيما امراء قبيلة حمير الاقوياء •

فهذا المؤرخ بريبلوس يصف بنفسه ما شاهده في احدى السفرات البحرية جنوبي جزيرة العرب • فهو يقول « الساحل العربي ما وراء ليوكي كومي خبيث • والبدو يسلبون كل من يهبط الساحل ••• لكن اليمن أكثر جنوحا للسلم ••• » ويصف مدينة « مخا » التي كانت تعرف باسم « موزا » لدى الاقدمين فيقول « ان المكان مزدحم كلـــه بأصحاب السفن والملاحين العرب ، وفي شـــغل شاغل بشؤون التجارة • فهـــم يتجرون مع الساحل البعيـــد [يريد بذلك ارتيريا والصومال] ويبعثون بسفنهم الى هناك ••• »

والاتفاق قام لدى المؤرخين على ان عددا من السبئيين في اليمن قد وصلوا بتجارتهم الى الصين ، وزاروا الامبراطور الصيني آنذاك ، وقدموا له هدية هي عبارة عن خرتيت افريقي •

وحتى عندما استولى اليونانيون على مصر لم يستطيعوا أن ينتزعوا السيادة على بحر العرب والخليج العربي من أيدي العرب أنفسهم •

فقد ذكر المؤرخ اليوناني اغاثارخيدس الذي عاش قبل الميلاد بقرنين من الزمن ان السفن كانت تأتي محملة بالسلع من الهند الى سبأ ومن هناك تتوجه الى مصر وأكد هذا ايضا المؤرخ اليوناني ارتى ميدورس الذي عاش في القرن الاولى قبل الميلاد فقال ان أهل سبأ يشترون البضائع التجارية من جيرانهم ويبيعونها لغيرهم فتنتقل من يد الى يد حتى تصل بلاد الشام والجزيرة » •

وهكذا حتى في تلك الفترة بقي الخليج العربي مفتوحا للتجارة أمام العرب من سكانه الذين كانوا يردون ثغور الهند وينتقلون منها الى الصين ثم يعودون الى سواحلهم بذات الطريق •

وتعدت سيطرة العرب قبل الميلاد الخليج العربي فتجاوزته الىسواحل

الهنـــد ومدن ريجازا وسيثيا في السند لما اتجهوا الى سواحل افريقيا الشرقية فوصلوا الى « رهابتا » بالقرب من زنجبار • وعلى الشاطئ الافريقي من البحر الاحمر أقام العرب مملكة اكسيوم المستقلة على ارض مجاورة للحبشة وكان الحكم في الصومال وزنجبار للامراء العرب وبقي كذلك حتى وصل الاسلام الى تلك الاصقاع •

وفي القرن الرابع بعد الميلاد كانت السيادة في الخليج العربي للعرب وحدهم • ففي سنة ٣٦٠م قام عرب البحرين وساحل الخليج بغارة واسعة على الامبراطورية الفارسية • وقد رد سابور الثاني الساساني بعد سنوات على تلك الغارة بأن صنع اسطولا قويا هاجم به الخليج حتى وصل البحرين فاحتلها وذبح عددا كبيرا من سكانها العرب وأقام فيها حامية فارسية •

وقد وصف المؤرخ اللاتيني اميانوس ماركليوس ، الذي عاش في أواخر القرن الرابع الميلادي ، الخليج العربى في ذلك الوقت بأنه كان يعج بالملاحة ، وان السفن البحرية كانت تختتم رحلاتها في «تريدون» (البصرة) وانه كان للعرب المجاورين عدة مواني ومراسى محمية وانهم كانوا قادرين على ثروات البر والبحر معا •

وحاول الفرس بعد وصولهم الى البحرين انشاء مراكز لهم في سواحل الجزيرة العربية • فكان لهم عامل في اليمن ويذكر ان هذا العامل بعث من هناك الى كسرى بقافلة محملة بالسلع النادرة وكان يقود هذه القافلة قوم من بني جعيد لكن بني حنظلة بن يربوع كبر عليهم أن تصل هذه القافلة الى بلاد فارس ولذلك أغاروا عليها فقتلوا من فيها من بني جعيد واستولوا على أموالها •

وفي القرن الثالث عشر قبل الميـلاد قامت في الجزيرة العربيـــة على السواحل الجنوبية دولتان عربيتان عظيمتان هما الدولة المعينية التى قامت بين حضرموت واليمن وكانت عاصمتها « معين » والدولة السبئية التي نشأت في اليمن وكانت عاصمتها سبأ • وكانت هاتان الدولتان هما المسؤولتان عدة قرون عن تسيير التجارة بين جزيرة العرب وسواحل الهند •

أما الخليج العربي فظل بيد العرب وظلت طرقه مفتوحة لهم الى الهند والصين ذهابا وايابا الى أن ظهر الاسلام فاذا بالعرب المسلمين يبدأون بتطهير الخليج العربي من بقايا المقاومة المعادية لهم في اللحظة التي ثبتوا فيهـــا إقدامهم في العراق وبذلك عاد الخليج بحيرة عربية كما كان عهده في مختلف عصور التأريخ •

الفصل الثاني

الخليج بحيرة عربية في العصر الاسلامي

استطاع العرب بعد فترة وجيزة من ظهور الدين الاسلامي الحنيف وانتشاره في الجزيرة العربية واطرافها ان يعيدوا احتلال بصواحل الخليج العربي وان ينتزعوا موانئه التي كانت بايدى الفرس الواحد تلو الاخر ولا سيما في البحرين حيث كانت للفرس حامية فيها ٠

ولقد استخدم المسلمون الخليج العربي لاغراض شتى غير الاغراض التجارية المألوفة عنه ٠

(١) فقد كان الخليج اداة الاتصال المهمة بين الامبراطورية الاسلامية في غربي آسيا ، العراق وبلاد الشام وفلسطين ، وبين شبه الجزيرة العربية ومصر والشمال الافريقى ٠

(٢) ولم يعد الخليج الغربي لينافس البحر الاحمر في الوصول الى روما والبندقية والقسطنطينية ، كما كان شأنه ذلك قبلا ، وانما غدا مكملا للبحر الاحمر في الاتصال بالبحر الابيض المتوسط ، وبلوغ شواطىء هذا

البحر الاخير الاسيوية منها والاوربية ٠

(٣) واصبح الخليج العربي مفتاح الفتوح والاتصالات العربية الاسلامية مع الهند والصين وشرقي أفريقيا بشكل واسع لم يشهده تأريخه السابق خلال العصور البائدة ٠

ففي خلافة عمر بن الخطاب (رض) ابحر والي البحرين عثمان الثقفي من عمان في غارة بحرية جريئة على ساحل الهند فبلغ مدينة « تانه » على مقربة من بومباي ٠ ثم وجه اخاه المغيره الثقفي في غارة اخرى الى «خور الديبل» عند مصب نهر السند، بينما انفذ اخاه الاخر الحكم الثقفي الى مدينة « بروص » (بهروج) على ساحل « المالبار » في الهند ٠

وحين تولى العلاء الحضرمي ولاية البحرين بعد عثمان الثقفي قام بحملة بحرية واسعة في الخليج العربي مطاردا بقايا الفرس حيث توغل من هناك عميقا داخل فارس فوصل مدينة برسيبوليس [اى « مدينة فارس » في اليونانية] والتي يطلق عليها العرب اسم « اصطخر » ٠

وهكذا نمت للمسلمين في خلافة ابى بكر وعمر وعثمان (رض) ، وفي فترة لا تزيد عن عشرين سنة ، السيادة التامة على الخليج العربي ، وعلى البحار التي يتصل بها كالبحر الاحمر وبحر العرب ومداخل المحيط الهندي ٠ ثم قوج العرب المسلمون انتصارهم البحري الرائع في معركة «ذات الصواري» سنة ٣٤هـ = ٦٥٥م فتمت لهم بذلك السيادة على البحر الابيض المتوسط ايضا ٠

وتطورت أهمية الخليج العربي بتطور الدولة الاسلامية في عهد الامويين٠ ففي عهد خلفاء بني أمية كان العالم الاسلامي متماسكا في كل اجزائه من اسبانيا في اوربا حتى السند في الشرق الاقصى ٠ وكذلك ظل العالم الاسلامي متحدا في عهد الخلفاء العباسيين الاوائل باستثناء الاندلس التي انشأ الامويون دولتهم الجديدة فيها على يد عبدالرحمن الداخل ٠

ولذلك بقيت التجارة والملاحة والسيادة في الخليج العربي بيد العرب وحدهم ٠ فمن البصرة كانت السفن العربية تبدأ بالابحار حتى مدينة « كانتون » في الصين ٠ وكان هذا الطريق اطول طريق استعمله الانسان في النقل والمتاجرة قبل ان تبدأ حركة التوسع الاستعماري الاوربي في القرن السادس عشر الميلادي ٠

وتتحدث كتب الصين القديمة عن حادث وقع لمدينة كانتون الصينية

على أيدي العرب • ففي سنة ٧٥٨م اغار العرب على تلك المدينة ـ وكانت تدعى كوانج تشو آنذاك ـ فنهبوها واحرقوها ثم عادوا ادراجهم بحرا •

وقد اتاح افتتاح العرب للسند في عهد ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي للعراق ، قد اتاح لهم طرق الاقتراب من الصين : ففي السند تهيأ للعرب المسلمين ميناء الديبل ثم ميناء المنصورة الذي انشأه المسلمون انفسهم والذي كان موقعه في حيدر آباد •

وزاد انتقال عاصمة الخلافة الاسلامية من دمشق الى بغداد في عهد العباسيين من خطورة الخليج العربي وتقدم الملاحة والتجارة فيه وفي المحيط الهندي وبحار الصين •

وينقل « اليعقوبي » (المتوفى ٢٨٤هـ ـ ٨٩٧م) في تاريخه ان الخليفة ابا جعفر المنصور عندما اختط مدينة بغداد كان عالما تمام العلم باهميتها الاقتصادية وانه قال عنها « ان الجزيرة بين دجلة والفرات ••• وان كل ما يأتي في دجلة من واسط والبصرة والاهواز والابلة وفارس وعمان واليمامة والبحرين وما يتصل بذلك ••• فاليها ترقى وبها ترسى •• وكذلك ما يأتي من الموصل وديار ربيعة واذربيجان وارمينية مما يحمل في السفن في دجلة ، وما يأتي من مضر والرقة والشام والثغور والمغرب مما يحمل في السفن في الفرات ومدرجة أهل الجبل (الشمال الغربي من ايران) واصبهان وكور خراسان •••• »

وكانت الابلة وسيراف (التي تقع على مقربة من قرية الطاهرة أو بندر طاهري الان) من أهم موانيء السفن في فم الخليج العربي • ومن الابلة وسيراف كانت تنقل التجارة بالسفن الصغيرة الى بغداد •

وكان عرب الجزيرة والخليج يبحرون باعداد كبيرة وفي سفن عديدة من موانيء الخليج الى الهند والصين والملايو •

ويروي المؤرخون ان أول عربي قام برحلة الى الصين هو النضر بن ميمون البصري في القرن الثامن الميلادي • وذكر ان ربانا شهيرا عرف باسم (عبهرة) قام في أواخر القرن الثامن الميلادي برحلات منتظمة بين الخليج العربي والصين •

وفي سنة ٨٢٥م ارسلت قوة بحرية كبيرة من البصرة لتأديب قراصنة البحرين الذين كانوا يغيرون على السفن القادمة من فارس والهند والصين •

وكانت الملاحة ما بين الخليج العربي والصين تجري بصفة مباشرة

خلال القرن التاسع الميلادي • وكان لهذه الملاحة طريقان رئيسان وصف احدهما المستكشف العربي الشهير « ابن خرد ذابة » المتوفى في ٣٠٠هـ ـ ٩١٢م صاحب كتاب « المسالك والممالك » الذي الفه في حوالي سنة ٨٤٤م •

اما الطريق الثاني فقد اتى على وصفه « ابو زيد سليمان السيرافي » صاحب كتاب « اخبار الصين والهند » والذي قام برحلته الى تلك الاصقاع سنة ٢٧٧هـ ٨٥١م •

فالبصرة والابلة وسيراف كانت منتهى السفن القادمة من الصين وافريقيا الشرقية • ورغم أهمية البصرة كميناء في ذلك الوقت فان السفن الكبيرة لا تستطيع بلوغها رأسا كما هو شأنها اليوم حيث تنتهي السفن الكبرى عند الفاو ، ثم تنقل حمولتها في سفن صغيرة الى البصرة • ولذلك كانت السفن الكبيرة في تلك الفترة ترسو في الابلة التي تقع عند مصب القناة على نهر دجلة والتي كانت توجد فيها احواض واسعة للسفن •

ونظرا لوجود مناطق ضحلة في فم الخليج الشمالي وعلى مقربة من عمان كثيرا ما كانت السفن تتحطم عندها ، فقد اقيمت في البحر قواعد من خشب عليها ابراج للحراسة توقد عليها شعلات من النار خلال الليل لتقوم مقام المنار • وكانت هذه الابراج تترصد حركات القراصنة في الخليج بل وحتى قراصنة الهند وهذا ما ذكره السيرافي في كتابه الآنف ذكره •

وكانت السفن التي تهبط الخليج قادمة من العراق وفارس تسلك الى الهند والصين طريقين • فاما ان تتوقف هذه السفن عند مينائي « صحار » و « مسقط » على ساحل عمان ومن هناك تمخر المحيط الهندي رأسا الى ميناء « كولم ملي » جنوبي المالبار ، واما ان تدور هذه السفن السواحل فتمر بجزر قيس (كيش) مقابل عمان ، وهرمز ، و « تيز مكران » على ساحل بلوجستان ثم تبلغ الديبل فمدينة المنصورة وغيرها من موانىء السند حيث تتنقل من هناك الى بقية موانىء الهند وتعبر الى سيلان [سرنديب عند العرب] حتى تصل الملايو وسواحل الهند الصينية فالصين حيث تلقى بمراسيها في كانتون (خانفو) • ولم يكن العرب قد توقفوا في رحلاتهم البحرية عند كانتون وحدها بل تجاوزوها الى الشمال حتى كوريا التي كانوا يطلقون عليها اسم السيلا او الشيلا •

ويذكر الجغرافيون العرب ان الرحلة من مسقط الى كانتون كانت تستغرق زهاء أربعة أشهر ، ومن مسقط الى كولم ملي نحو تسعة وعشرين يوما •

ويذكر المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦هـ = ٩٥٧م في كتابه «مروج الذهب» ان سفن الصين كانت تأتي الى بلاد عمان وسيراف وساحل فارس وساحل البحرين والابلة والبصرة • وكذلك كانت المراكب تختلف من المواضع المذكورة الى هناك •

وعندما أصاب الانقسام الامبراطورية الاسلامية في أواخر القرن العاشر الميلادي انقطعت رحلات العرب المباشرة الى كانتون ولذلك كان الملاحون العرب والصينيون يلتقون عند ميناء كله [كلا] على الساحل الغربي لشبه جزيرة الملايو التي يسميها العرب « ملقا » •

وكانت التجارة نشطة بين سيراف وعمان وشرقي افريقيا في القرن العاشر الميلادي • فكان العرب ينحدرون على طول الساحل الافريقي طلبا للرقيق والعاج والعنبر وكان مطافهم ينتهي عند مدينة « سفالة » في موزمبيق ، وجزيرة « قنبلة » اي مدغشقر ، وجزر « الواق واق » التي اختلف الجغرافيون في تحديد مواقعها فقالوا ان هناك جزيرتين تعرفان باسم « واق واق » : احداهما مدغشقر والاخرى سومطرة ويعتقد البعض ان جزيرة « ويك » التي يحتلها الامريكان الآن في المحيط الهادى جنوبي شرقي اليابان هي جزيرة « واق واق » التي رددتها الاسفار والرحلات العربية

وقد أصبحت للعرب في كل نقطة من نقاط التجارة على كلا ساحلي الخليج العربي وسواحل الصين والملايو والهند والسند جاليات عربية كبيرة كما تفوقت الجاليات العربية في اندنوسيا في السيطرة على الملاحة والتجارة في تلك الانحاء •

ومن الامور الخطيرة الجديرة بالاهتمام في هذا الشأن هو ان نذكر ان العرب هم اول من عرف الطريق البحري الى الهند بالاستدارة حول السواحل الافريقية • وقد ظل الجغرافيون حتى الان ينسبون خطأ اكتشاف هذا الطريق الى البرتغاليين في حين ان العرب سبقوا غيرهم الى هذا الاكتشاف قبل قرون عديدة • وقد اكد حقيقة هذا الكشف العربي الخطير الرحالة ابو زيد سليمان السيرافي في كتابه اخبار الهند والصين وقد استدل على ذلك من ظهور قطع من اخشاب بعض السفن في بحر الشام [الابيض المتوسط] وبحر الروم [بحر مرمرة] وهي من النوع المخروز فقد قال في صدد ذلك ان الخشب المخروز لا يكون الا بمراكب سيراف خاصة • ومراكب الشام والروم مسمورة غير مخروزة ••

وكان من مظاهر هيمنة العرب على الخليج العربي في العصـــور الاسلامية الزاهرة انهم ألموا الماما تاما بكل نقطة من سواحله وجـــزره وخلجانه ورؤوسه ، وانهم احكموا تقدير المسافات التي تقطعها سفنهم بين موانئه وموانىء الهند والصين والملايو ، وحددوا تلك المسافات بالفراسخ والايام • كما انهم عينوا الاوقات لصالحة للملاحة في الخليج خلال السنة وقد فصل ابن خرداذبة هذه الطرق والمسافات والاوقات في كتابه الآنف ذكره • فقال ان المسافة بين البصرة وجزيرة خارك في الخليج العـــربي خمسون فرســخا ، ومن خارك الى جزيرة هرمز ستة واربعون فرســخا ، ومن هرمز الى « ثارا » ــ التي تفصل بين فارس والسند ــ مسيرة سبعة أيام ، وان المسافة بين ثارا والديبل ثمانية أيام •

وكانت اهم الموانىء التي تمر بها السفن العربية في الهند هي «تيز» في بلوجستان ، والديبل في السند ، وتهانة وكهمبات وسوباره وصيمور في ولاية كجرات ، وكولم ملي في مدراس ، ورأس كماري [قمار] وماليبـار في البنغال وقامرون [كامروب] في ولاية اسام •

★ ★ ★

وجدت اوربا نفسها مهددة بخطر اكتساح الاسلام لها بعد ان وطد اقدامه في اسبانيا وصقلية وجنوبي فرنسا وجزر البحر الابيض المتوسط وبحر ايجة وغيرها •

واذهلت اوربا ــ وهي تغط في سبات الجهل والامية والتأخر ــ هذه الحضارة الزاهرة التي انشأها المسلمون في مثل لمح البصر بالنسبة الى عصور الحضارات ، وما فتح الله به على بلاد المسلمين من رخاء وتقـــدم ومنعــــة •

وحين كانت اوربا في ذلك الوقت تطحنها الحروب الداخلية والخلافات الدينية اذا بها تستيقظ على صوت قبيح ينادى بها ان تهب للدفاع عن نفسها والمسيحية ضد الاسلام •

لقد وجد ملوك اوربا الطامعون في الامبراطورية الاســـلامية التي انقسمت الى امارات متخاصمة ، ان التستر بالدفاع عن المسيحية خـــير وسيلة يسترون بها اطماعهم في الاغارة على العالم الاسلامي •• انها الحرب الصليبية •

بدأت هذه الحرب في صفة حملة تضم عدة جيوش جمعت من فرنسا

والمانيا واوربا الوسطى وتوجهت نحو الشرق بدعوى انقاذ بيت المقدس مرقد المسيح من ايدى المسلمين • ولقد ضل عدد من هذه الجيوش طريقه في بلاد المجر • اما من عبر منهم مضيق البسفور الى اسية الصغرى فقد لقي حتفه على ايدي الاتراك •

وفي السنة ١٠٩٧م جردت الحملة الصليبية الكبرى المنتظمة التي استطاعت ان تصل الى فلسطين ولبنان واعالى نهر الفرات وتقيم ممالك صليبية فيها الى ان نهض ابن العراق البار فتى تكريت بطل العروبة والاسلام الاكبر صلاح الدين الايوبي سنة ١١٦٩م فاستطاع ان يثير همم العرب والمسلمين ويوحد بين قلوبهم ويرص صفوفهم ، فيقذف بجيوشه القوية الى أرض المعركة وينتزع من الصليبيين قلاعهم الواحدة تلو الاخرى ويمزقهم شر ممزق في معركة «حطين» الشهيرة في تموز سنة ١١٨٧م فيحرر بيت المقدس من آثامهم ويستأصل شأفتهم من بلاد الاسلام • ولم تنجح الحملات الصليبية الثالثة والرابعة والخامسة التي وجهت بعد ذلك في توطيد اقدامهم او اعادة ما استرده المسلمون من ديارهم الحبيبة • ولقد قضي على البقية الباقية من الصليبيين ومحاولاتهم بعد سقوط القسطنطينية عاصمة البيزنطين بايدي العثمانيين سنة ١٤٥٣م •

كان من الطبيعي ان يظل الخليج العربي في مأمن من غارات الصليبيين وهجماتهم التي اقتصرت على البحر الابيض المتوسط وسواحله العربية • غير ان الحملات الصليبية انما وقعت بدافع الغزو والاستيلاء على الغنائم والاسلاب ولذلك فهي تمثل اولى محاولات اوربا في السيطرة على الشرق واحتكار موارده وطرق التجارة فيه • فهذه الحرب التي لبست لبوس الدفاع عن المسيحية وتخليص ارض القدس من المسلمين ، انما كانت تمثل في الواقع تطور حكم الاقطاع والبيوتات التجارية في اوربا ، وتطلعها الى الاستئثار بموارد الشرق وخيراته والهيمنة على الطرق التي كانت تنقل تلك الخيرات الى الغرب ، وذلك عن طريق احتلال سواحل البحر الابيض المتوسط العربية التي كانت تؤلف الجسر الرئيس الذى يربط الغرب بالشرق في تلك العصور • ولقد كشف تأريخ الحروب الصليبية عن اعمال النهب والسلب والسرقة التي قام بها الصليبيون في البلدان الاسلامية التي تغلبوا عليها مما لا يدع اي مجال للشك في ان الغاية القصوى لتلك الحروب كانت السيطرة على موارد الشرق ليس الا •

الفصل الثالث

العرب يقاومون الغزو البرتغالي للخليج

رغم الهزيمة المنكرة التي اصابت اوربا في القرن الثالث عشر على أيدي المسلمين حين قضوا على الممالك التي أقامها الصليبيون في فلسطين وسوريا ، فان اوربا قد افادت الشيء الكثير من تلك الحملات الصليبية فاحتكاك الاوربيين بالمسلمين خلال تلك الحملات مكنهم من نقل علوم العرب وصناعاتهم وفنونهم • فعن المسلمين اخذ الاوربيون صناعة السفن والورق والنسيج والبارود والبوصلة وغير ذلك من العلوم والفنون الاخرى وهكذا اعقبت الحروب الصليبية نهضة فكرية وعلمية في اوربا كانت قائمة في اصولها على اسس الحضارة الاسلامية ، وكان من نتيجة ذلك ان تنبهت اوربا الى اهمية الشرق التجارية والحربية مرة اخرى فاستحدثت الكثير من الآلات والمخترعات التي اخذت تدفع بها دفعا الى البحث عن موارد الثروة في الشرق ، وسلب مقاليدها من ايدى العرب المسلمين ، الذين ظلوا يحتكرون تلك الموارد والطرق التي تنقل بها اكثر من ثمانية قرون •

ذلك ان تجارة المحيط الهندي من الصين حتى «سفالا» [في موزمبيق] بقيت وقفا على العرب وحدهم حتى نهاية القرن الخامس عشر لميلادي ·

كان الرحالة الجنوي ماركو بولو أشهر أوربي استطاع أن يمخر بحار الشرق ، ويصل الى الصين سنة ١٢٧٢م وكانت رحلة ماركو بولو هذه من الحوافز الاساسية التي حفزت كريستوفر كولمبس بعد قرنين من الزمن على القيام بمغامرته الكبرى في محاولة الوصول الى الهند بالسير غربا ، واكتشافه القارة الامريكية مصادفة وعلى غير علم منه سنة ١٤٩٢م

ولقد اثار هذا النجاح الذي اصابه كولمبس روح المغامرة لدى الاوربيين الى درجة هائلة حيث شرع الهولنديون والبرتغاليون والاسبان يتسابقون في الدوران حول افريقيا للوصول الى الهند على ان العرب قد سبقوهم الى ذلك منذ بداية القرن العاشر ·

كانت البرتغال اولى الممالك الاوربية التي بدأت تهتم بالوصول الى الشرق وقد ابتدأت حركة الاستكشاف لديها على يد ملكها هنري الملاح الذي شرع منذ عام ١٤١٨م يرسل بعثات استكشافية حول الساحل الافريقي ·

وفي عام ١٤٨٢ انشأ البرتغاليون لهم مستعمرة في ساحل الذهب كانت اول مستعمرة اوربية تقام في افريقيا ·

وفي سنة ١٤٨٦م تولى « بارتلميو دياز » قيادة بعثة برتغالية بحرية سارت على الساحل الافريقي واستطاعت ان تكتشف رأس الرجاء الصالح· ثم توج البرتغاليون اكتشافاتهم بوصول «فاسكودي غاما» الى الهند سنة ١٤٩٩م بمعونة الملاح العربي الشهير احمد بن ماجد الملقب «اسد البحر» الذي تولى قيادة اسطول دي غاما من افريقيا وايصاله الى مدينة كاليكوت [كلكتا] في الهند ·

كان ابن ماجد هذا من عائلة عربية عاشت في نجد وتمرس افرادها في الملاحة وعلم البحار والالمام بطرقها وقد الف ابن ماجد كثيرا من المصنفات والرسائل في العلوم البحرية · منها كتابه «الفوائد في علم البحر والقواعد» ورسالة «حاوية الاختصار في علم البحار» ، ورسالة المعربة وكثيرا من الاراجيز الشعرية ·

كما وضع ابن ماجد دليلا بحريا كانوا يسموته «رهماني» استند فيه الى خبرته ومعلوماته الشخصية عن البحار ، ويغلب على الظن ان ابن ماجد

قد ولد بمدينة «جلفار» [رأس الخيمة] حوالى سنة ٨٤٥هـ وتوفي سنة ٩٠١هـ ٠

فكيف تعرف فاسكودى غاما بابن ماجد واستخدمه لايصلله الى الهند من افريقيا ؟ يذكر ذلك قطب الدين محمد بن احمد النهروالي الذي عاش في مكة المكرمة وتوفي بها سنة ٩٨٨هـ في كتابه الموسوم «البرق اليماني في الفتح العثماني» الذى الفه للسلطان سليمان العثماني ٠ ففي هذا الكتاب يقول قطب الدين «ان الذى دل البرتغاليين شخص ماهر من اهل البحر يقال له احمد بن ماجد صاحبه كبير الفرنج وعاشره في السكر فعلم الطريق منه وهو في حالة سكره» ٠ وقد التقى دي غاما بابن ماجد في مدينة «مالندى» على الساحل الشرقي من افريقيا ٠

كان من جراء غلطة ابن ماجد تلك ان انتهت زعامة العرب على الملاحة والتجارة في المحيط الهندى ، وان شرع البرتغاليون يأخذون مكانتهم فيها ؛ ويحتلون المراكز التجارية في ذلك المحيط الواحد بعد الاخر ولاسيما بعد ان اخترعت اوربا السفن التي تسير بقوة البخار بدلا من الشراع وتقطع المسافات البعيدة في مدد قصيرة ، وتستخدم المدافع في القتال بدلا من القسي والنبال ٠

كان وصول البرتغاليين الى الهند وانشاؤهم عددا من المراكز والمستعمرات فيها ، نذير شؤم على السيادة العربية ليس في المحيط الهندي وحده بل وفي الخليج العربي أيضا ذلك ان البرتغالين لم يكتفوا بالوصول الى الهند وانتزاع ما كان العرب يصدرونه من ثروات الى اوربا حسب ، بل انهم اندفعوا الى الاستيلاء على كل النقاط التي تمر بها التجارة في البحار العربية ٠

كان وصول دي غاما الى الهند اول بوادر الانقلاب العالمي الخطير الذي اوجد الرأسمالية الاوربية الحديثة ٠ فاكتشاف اوربا لهذا الطريق البحري الذي يربط بينها وبين الهند قد قضى على الطريق البري الذى كان يخترق الجزيرة العربية الى ساحل البحر الابيض المتوسط ، كما قضى على الطريق الذي يخترق الخليج العربي فيمر بالعراق فسوريا ثم يعبر البحر الابيض المتوسط الى ايطاليا فاوربا ٠

كانت اوربا تستورد التوابل من سومطرة وسيلان والهند ، والاحجار

الكريمة من ايران والهند وسيلان ، والكافور من سومطرة وبورنيـــو ، والسكر والنيل والصندل من الهند ، والمسك من الصين ، والشب من اسيا الصغرى •

ولذلك حين عاد فاسكودى غاما من رحلته الاولى الى الهند راجعا الى لشبونة سنة ١٤٩٩م كان يحمل معه الكثير من السلع التي اختص العرب قبلا بنقلها من الشرق الى اوربا •

كان العرب هم سبب نجاح حملة فاسكودى غاما تلك • فبالاضافة الى وجود ابن ماجد في اسطول دي غاما لعبت المشاحنات القائمة بين شيوخ العرب القاطنين في سواحل افريقيا الغربية دورها الخطير في ايصـــال البرتغاليين الى الهند ذلك ان دي غاما انشأ له علاقات وديـــة مع اولئك الشيوخ الذين استقبلوه استقبالا وديا حتى ان امير موزمبيق ، وهو عربي مسلم ، استضاف دىغاما في قصره ورد له الزيارة في سفينته •

ولم ينتبه العرب الى خطر دى غاما الا بعد ان رسخ اقدامه في افريقيا الغربية ، ونفذ خطته في الوصول الى الهند •

بل ان المطامع دفعت عددا من العرب الى الانضمام لاسطول دى غـاما انتقاما من خصومهم العرب الذين كانوا يقاومونه ولا يسمحون له بالاقامة في شواطئهم •

بعد ان احتلت البرتغال خلال سنتى ١٤٩٩ـ١٥٠٠م عدة مراكز لها في الهند اخذت تفكر في الاستيلاء على الخليج العربي لتضمن بذلك السيطرة على الطرق البرية والبحرية التي تربط البلاد العربية بالهند والشـــرق الاقصى • كانت السفن البرتغالية اثناء ذلك تتصدى لكل سفينة عربيـــة تشاهدها في عرض البحر فتستولى عليها وتقتل ربابنتها وتنهب ما تحمله من اموال ثم تتركها طعمة للنيران • ولم يكتف البرتغاليون بذلك بــل أخذوا يغيرون على سواحل الجزيرة العربية والخليج ينهبون ويحـرقون ويقتلون ويفرضون الاتاوات الباهظة على الموانىء العربية •

كان فاسكودى غاما حتى قبل ان يبلغ شواطىء الهند يطبق على كل سفينة يلتقى بها في طريقه فيعمد بعد تفريغها مما تحمله من بضائع الى اشعال النيران فيها هي ومن على ظهرها من العرب •

وعندما بلغت انباء هذه الوحشية مسامع « الزامورين » ملـــك كاليكوت ـ وكان قد جرب غدر الاميرال البرتغـالي «الفاريز كبرال» من

قبل ـ حتى جمع قواته البحرية وعززها باسطول من «خوجا امبار» احد كبار تجار كاليكوت العاملين في تجارة البحر الاحمر • ورغم ان اسطول كاليكوت كان يمتاز بالسرعة الا انه لم يكن مزودا بالمدافع مثل الاسطول البرتغالى • وحين دارت المعركة خارج مياه جزيرة «كوجين» اصيبت سفن خوجا امبار ببعض الخسائر لكن «قاسم» امير البحر لدى امزاموزين استطاع ان يداور سفنه بسرعة فيسد الطريق على البرتغاليين ثم يحيط بسفنهم واذ ذاك انهزم دى غاما من المعركة واستدار متجها نحو اوربا •• غير ان عدم تعقب الامير قاسم للاسطول البرتغالى قضى على ثمرة النصر التي حققها ضد ذلك الاسطول •

وحين غادر دى غاما المحيط الهندى اقبل اسطول برتغالى اخر يقوده الاميرال لوبو سورااس الذى هاجم اسطول كاليكوت غدرا وشتته • عندئذ لم يعد امام الزاموزين الا ان استنجد بسلطان مصر الذى كانت تربطه به علاقات الود والصداقة • ونهد السلطان المصري المسلم لنجدة الزاموزين باسطول يحمل اكثر من الف وخمسمائة جندى مجهز باحدث الاسلحة يقوده قائد مجرب هو الاميرال «مير حسين» • وقد اتجه مير حسين الى جزيرة « ديو » في البحر العربي ، ليجعل منها قاعدة له ، ثم يتصل ببحرية الزامورين ويقوم الاسطولان مشتركا بمهاجمة البرتغاليين •

وحين وصل مير حسين الى جزيرة ديو انضمت اليه قوات الزامورين فاتجهت معه نحو الجنوب اما الاسطول البرتغالى الذى كان يقوده «لورنسو دى الميدا» بن الدون فرنسسكو دى الميدا نائب الملك ، فقد اتجه من قاعدته في جزيرة كوجين نحو الشمال والتقى الاسطولان عند «تشاول» في منتصف الطريق واستمرت المعركة يومين عزم البرتغاليون فيها على الفرار بعد ان قتل القائد لورنسو ودمرت سفينة قيادته • وما ان علم الدون مانويل الزاكي بهذه الكارثة حتى جمع ما تيسر له من سفن ورجال واتجه الى ديو التي بلغها في اليوم الثاني من شباط سنة ١٥٠٩م ووقف ينتظر القوة المصرية الهندية المشتركة • وهنا لعبت الخيانة دورها • ذلك ان حاكم جزيرة «ديو» من قبل ملك كجرات الهندى ـ ويدعى مالك ايار ، وهو اوربى ادعى الاسلام ـ انضم سرا الى البرتغاليين وحرم الاميرال مير حسين من الحصول على المدد والمؤن وبعد معركة ضارية بين الاسطولين خارج مياه ديو في الثالث من ذلك الشهر انسحب مير حسين باسطوله نتيجة

تأثره من خيانة حاكم ديو •

على ان البرتغاليين كانوا منذ سنة ١٥٠٢ قد قرروا سد البحر الاحمر بوجه السفن العربية وذلك بمحاولتهم الاستيلاء على مداخله تمهيدا لغزو الخليج العربي •

وكانت هذه المهمة قد اوكل امر تنفيذها الى القائد البرتغالي المغامر «الفونسو البوكرك» • كان هذا المغامر قد ابحر بثلاث سفن من لشبونة في السادس من شباط ١٥٠٣م رست به في المراكز التي احتلها اسلافه في الهند وهي جزيرة كوتشين التي لاتزيد رقعتها عن نصف ميل • ومن هناك اخذ يدرس احوال الخليج العربي عن كثب • وقد اعد تقريرا مسهبا عنه بعث به الى ملك البرتغال • وحين حصل البوكرك على تفويض من ملك البرتغال بالتوسع في المياه العربية سنة ١٥٠٦م امر نائبه الاميرال « تريستان دى كنها » بالابحار الى جزيرة سقطرة واحتلالها هي وجزيرة قشم وسد البحر الاحمر •

وبعد قتال بين القوات البرتغالية التي يقودها دي كنها والقوات العربية التابعة للشيخ ابراهيم بن كيشين سلطان سقطره انتصرالبرتغاليون فنزلوا الجزيرة وبنوا لهم قلعة فيها أطلقوا عليها اسم قلعة توماس وكان هذا اول مركز يؤسسه البرتغاليون في البلاد العربية •

اراد البوكرك بعد استيلائه على سقطرة ان يحتل عدن وجدة ، لكنه تخلى عن هذه الفكرة واتجه الى سواحل عمان حيث رسا اسطوله في جزيرة « مصيرة » في اواخر آب ١٥٠٧ ومنها واصل سيره الى رأس الحد •

وجه البوكرك انذارا الى الشيخ سيف‌الدين حاكم هرمز بالاستسلام لكن الشيخ سيف‌الدين رفض الانذار والتحم اسطوله الصغير في معركة شديدة مع الاسطول البرتغالي وهكذا اجبر البرتغاليين على توقيع معاهدة للصلح معه في ايلول من تلك السنة اعترفوا فيها بالشيخ حاكما على هرمز مقابل قبوله الحماية البرتغالية • وكان من اسباب قبول الشيخ سيف‌الدين بهذا الاجراء تهديدات شاه ايران الذى تحالف مع البرتغاليين ، وهو مسلم ، ضد الشيخ سيف‌الدين لانه عربي •

ولقد جابه البوكرك وهو في طريقه الى هرمز وعمان مقاومة عنيفة من سكان مدينة « صور » التي تقع على ساحل عمان شمالي رأس الحد والتي اشتهر اهلها بالملاحة حتى ما قبل الميلاد •

كانت عمان منقسمة آنذاك الى ثلاثة اقسام رئيسة هي الباطنة ، وساحل عمان الذى تخضع بعض مدنه لحاكم هرمز ، والظاهرة • وكان لحاكم هرمز وكيل يقيم في مدينة « قلهات » التي تبعد حوالى ثلاثين ميلا عن « صور » •

وحينما وصل البوكرك مدينة صور واقتتل مع اهلها بعث بثلاثة من ضباطه الى الوكيل في قلهات للتفاوض معه في تسليم المدينة الى البرتغاليين لكن الوكيل وعدهم بمراجعة حاكم هرمز في الامر • وقد استفاد البرتغاليون من هذه الفرصة فتزودوا بالطعام وبالماء من قلهات ثم اقلعوا باسطولهم الى « قريات » [قرياتي] شرقي مسقط ومع ان احدا لم يتصد للاسطول البرتغالى من اهل هذه المدينة ا لا انهم كانوا يستعدون للمعركة وقد عرض عليهم البوكرك الاستسلام فأبوا وحينئذ هاجم المدينة فدارت الحرب بين العرب والبرتغاليين حتى في الشوارع • وقد أظهر البرتغاليون ـ كما هو شأنهم دائما ـ منتهى الخسة والنذالة اذ لم يتركوا احدا من العرب في المدينة الا قتلوه شيخا كان ام طفلا ام امرأة ، حتى انهم دخلوا السجن ومثلوا بالسجناء فجدعوا انوفهم وملصوا آذانهم • لقد كان البوكرك يفخر بانه حيثما امكنه العثور على عربي كان افلاته من يده ضربا من المحال ، وانه كان يملأ بهم المساجد ويضرم فيها النيران ، وانه حتى عندما احتل مدينة « غوا » في الهند بعد ذلك بسنوات قطع رأس كل عربي وقع اسيرا في يديه بتلك المدينة •

بعد ان نهب البرتغاليون قريات اشعلوا النار فيها كما احرقوا ثلاثا وثمانين سفينة كانت راسية في مينائها وهي بقايا الاسطول العربي الذى خاض المعركة ضدهم •

تقدم البوكرك من قريات متجها نحو مدينة مسقط وحينما ادرك اهلها ان حاكم هرمز لا يقوى على مقاومة البرتغاليين وان مصيرهم سيكون مماثلا لمصير قريات وغيرها ، فاوضوا البوكرك على الصلح فأبي ذلك • عندئذ بدأ اهل المدينة يستعدون للقتال والحصار فانشأوا حاجزا يمنع البرتغاليين من دخولهم المدينة • وما ان علم البوكرك بهذه الاستعدادات حتى قبل المفاوضة واشترط ان تدفع له اتاوة سنوية ، وان يجهز اسطوله بما يحتاج اليه لمحاربة حاكم هرمز ، وان تكون مسقط تابعة لنفوذه •

اوشك اهل مسقط اول الامر ان يوافقوا على هذه الشروط لكنهم

تذكروا ما حل بمدينة قريات من قبل على ايدى البوكرك ولذلك رفضوا تلك الشروط واستعدوا للقتال ٠

وزع البوكرك اسطوله الى قسمين احدهما يقصف المدينة ويهاجم الرماة من العرب الذين كمنوا في الجبال ، والثاني ينزل الى البر لاحتلال المدينة ، وكان البوكرك نفسه يقود القسم الاخير ٠ واحتدمت المعركة داخل مسقط ودارت رحاها في الشوارع والازقة ، وأمعن البوكرك في اطلاق النار على من يقع عليه بصره من اهل المدينة ٠

والجأ اهل مسقط الى الجبال يكمنون فيها نهارا ثم يهاجمون الغزاة ليلا ٠ وحين تعاظمت مقاومتهم امر البوكرك بحرق المدينة كلها بعد نهب ما فيها من مال ومتاع ٠ ثم سار الى مدينة « صحار » التى استسلم حاكمها له على الرغم من وصول متطوعين من عمان للدفاع عنها ٠ ومن صحار اتجه البوكرك الى « خور فكان » فصالحه اهلها ، ومع ذلك ابى ذلك السافل الا ان يحرق الميناء وما فيهمن سفن وينهب ما فيه من اموال ٠

اصبح البوكرك الان عند فم الخليج العربي وغدا واضحا لديه ان دخوله الخليج لن يتحقق الا بالاستيلاء على جزيرة هرمز التي تعتبر اول عائق في فم الخليج ٠ لكن البوكرك توقف عن التقدم نحو هرمز بسبب الخلاف الذى ثار بين ضباطه حول اقتسام الغنائم ٠ واذ كان في هذاالوضع وصلته الانباء بثورة سكان سقطرة ضد البرتغاليين ومحاصرتهم في قلعة توماس ٠ عندئذ اتجه البوكرك الى سقطرة فاحرق في طريقه مدينة قلهات التي انتفضت هى الأخرى عليه بعد رحيله عنها ، ثم هاجم سقطرة واعاد احتلالها ثانية ٠

ولابد لنا هنا من الاشارة الى العوامل التي ساعدت البرتغاليين على احتلال هذه الاجزاء من الخليج العربي ٠

واول هذه الاسباب هي استعمال الاسلحة النارية من مدافع وبنادق وغيرها مما لم يعرفه العرب ولا كانوا يملكونه ٠

وثاني هذه الاسباب واشدها خطرا هو الانقسام القائم بين رؤساء القبائل العربية ولاسيما في عمان ، واهتمام كل واحد منهم بالمحافظة على مقاطعته دون التنبه الى الخطر البرتغالى المداهم ٠٠

ومن هذه الاسباب ايضا عدم اهتمام الاتراك بالدفاع عن هذهالمناطق وعدم تقديرهم الخطر الذى يمثله الغزو البرتغالى للخليج العربي حيث

لم يتنبهوا الى هذا الخطر الا بعد فوات الاوان •

* * *

وجد البوكرك بعد طول تفكير ان سيادة البرتغال على الخليج العربي وبحر العرب ومستعمراتها في ساحل الهند لا يتم باحتلال جزيرة سقطرة وانما بالاستيلاء على عدن • ولذلك بدأ يعد العدة لهذا الغرض • ففي سنة ١٥٠٦م تولى البوكرك نفسه منصب نائب الملك في الهند فاستولى على مدينة غوا في الهند وجعلها عاصمة للمستعمرات الهندية • وعندئذ اخذ يستعد لمنازلة عدن •

بعث البركوك باسطول قوي الى عدن في اواخر سنة ١٥٠٦م فحاصرها وتحصن اهلها في داخلها وقاوموا هجمات البرتغاليين ضدهم واخيرا استنجدوا بحاكم مصر آنذاك المملوك « قانصوه الغوري » فهب هذا ، مدفوعا بالحمية الاسلامية ، الى نجدتها وازاحة الخطر البرتغالى عنها ذلك الخطر الذى اخذ يتهدد تجارة مصر في البحر الاحمر تهديدا مباشرا •

هيأ قانصوه الغوري اسطولا بقيادة الاميرال حسن الكردي وقدخرج هذا الاسطول من السويس سنة ١٥٠٧ وبعد ان رسا في جدة عدة ايام اجتاز مضيق باب المندب فوصل الى جزيرة « ديو » وهناك اطبق على الاسطول البرتغالى وقد كتب النصر في هذه المعركة لحسن الكردي الذي راح يطارد السفن البرتغالية حتى المحيط الهندي وانتصر عليها في موقعة اخرى على مقربة من بومباى • غير ان البوكرك استطاع بالمساندة التي تلقاها من ملوك فيجايا ناجار الهندوكيين المعنين في عدائهم للاسلام ، ان يصد اسطول حسن الكردى ويهزمه في السواحل الهندية ، حيث عاد حسن الكردي الى جدة سالما • ورغم ذلك فلم يستطع البوكرك معاودة الهجوم على عدن بل انشغل بتوطيد اقدامه في الهند حتى سنة ١٥١٣م حين عاود مهاجمتها لكنه ارتد عنها مدحورا لان سكانها احسنوا تحصينها وابلوا في الدفاع عنها بلاء حسنا •

ولم تفت تلك الهزيمة في عضد الغوري اذ شرع يعد العدة لاسطول جديد يدفع به الى البحر الاحمر وقد طلب مساندة البندقية [جنوا] له في ذلك فرفضت طلبه عندئذ التجأ الغوري الى السلطان العثماني الذى قبل المشاركة في بناء الاسطول الجديد لكن الدول الاوربية خشيت مغبة هذه الحركة على مصالحها التجارية والسياسية فاتحدت فيما بينها ، وبعثت

بقواتها البحرية لصد الاسطول المصري العثماني المشترك ، ومنعه من التوجه الى البحر الاحمر • وقد هاجمت السفن الاوربية هذا الاسطول على حين غرة في مياه الاسكندرية سنة ١٥١٠م وحطمته •

هيأ قانصوه الغوري بعد ذلك حملة لاحتلال اليمن وصد العثمانيين عنها • وانضم الزيديون ، بحكم عدائهم المذهبي للشوافع في اليمن ، الى جيش الغوري ووعدوه بالمؤن والخيول • وبعد ان استولى جيش قانصوه على « زبيد » تقهقر الى « قمران » ومن هناك حاول الإستيلاء على عدن فقاومته ببسالة وصدته عنها مثلما صدت البرتغاليين من قبل • وعندئذ لم يجد قائد ذلك الجيش ، وهو حسين التركي ، من سبيل امامه سوى التراجع الى مصر • وكان فشل هذه الحملة من الاسباب القوية التي شجعت البرتغاليين على مهاجمة عدن سنة ١٥١٣م ثم تجددت محاولاتهم في الاستيلاء على سواحل البحر الاحمر حيث حاصروا « جدة » سنة ١٥١٧م وتوجهوا منها الى « الحديدة » فجزيرة قمران ثم مضيق باب المندب •

عاد البرتغاليون في سعيهم ثانية للاستيلاء على جزيرة هرمز ،ففي سنة ١٥١٥م توجه اليها اسطول برتغالي كبير من الهند • وكان الايرانيون قد اشعلوا نيران الفتنة داخل هرمز بسبب اطماعهم فيها • ولذلك اتصل الايرانيون المسلمون بالبرتغاليين واتفقوا على التعاون معهم ضد العرب القاطنين في الجزيرة وعرض البرتغاليون على الفرس تجهيزهم بسفن للاغارة على البحرين والقطيف واخماد الثورة المحلية في « مكران » مقابل تنازلهم للبرتغال عن ميناء [جوادر] •

وما ان علم عرب الخليج بهذا الاتفاق بين الفرس والبرتغاليين حتى هب سكان هرمز والبحرين وصحار ومسقط هبة رجل واحد للتعاون مع حاكم هرمز لدحر العدوان البرتغالي •

ووجه البرتغاليون قطعاتهم البحرية نحو هرمز فدمروا ميناء صحار ، ثم شرعوا بمهاجمة الجزيرة ، فدافع عنها حاكمها العربي دفاع الابطال • وحين ازداد هجوم السفن البرتغالية ضده طلب الى الاهلين ان يحرقوا مدينة هرمز ذاتها ، وأن ينسحبوا الى جزيرة قشم • وقد تم فعلا تنفيذ هذا الامر • وهكذا لما دخل البرتغاليون هرمز وجدوها شعلة من نار•

وظلت هرمز صامدة بوجه البرتغاليين وشوكة في حلوقهم الى أن تمكنوا سنة ١٥٢٣م من اجبار حاكمها الجديد ، وكان ضعيفا ، على توقيع معاهدة

« مناب » التي جعلت الجزيرة تدار من عاصمة البرتغال مباشرة • لكن هرمز رغم ذلك لم تستسلم وظلت تقاوم الاحتلال البرتغالى سنوات عديدة الى درجة ان الحكومة البرتغالية اضطرت في سنة ١٥٢٩ ان تلقى القبض على المعارضين لها ، وفي مقدمتهم الشيخ شريف مستشار الحاكم السابق ، وان ترحلهم الى مكان آخر خارج الجزيرة •

* * *

في هذه الفترة وقعت في البلاد العربية قاطبة احداث خطيرة غيرت احوالها الراهنة تغييرا جذريا ، وقررت مصيرها لعدة قرون مقبلة •وكانت اهم تلك الاحداث استيلاء الاتراك في عهد السلطان سليم الاول [١٥١٢ـ١٥٢٠م] على بلاد الشام ومصر والعراق وبذلك اصبحت الدولة العثمانية وجها لوجه امام البرتغاليين سواء في البحر الاحمر ام البحر العربي ام في الخليج • ولهذا عين السلطان سليم الاميرال حسين الرومي قائدا للاسطول التركي في البحر الاحمر وعهد اليه بمهمة رد غارات البرتغاليين على شواطىء الجزيرة العربية •

واكمل سليمان القانوني [١٥٢٠ـ١٥٦٦م] ما بدأه سليم الاول • اذ اتم احتلال العراق ، ودخل الخليج العربي من الشمال ، ونازل البرتغاليين في معركة ميناء « مصوع » على الساحل الافريقي من البحر الاحمر حيث اندحر البرتغاليون فيها اندحارا شنيعا امام الاسطول العثماني وذلك في سنة ١٥٤٠م

على ان البرتغاليين لم يكفوا مع ذلك عن مهاجمة المراكز العربية في الخليج ونهبها وحرقها والفتك بسكانها • فقد هاجموا جزر البحرين سنة ١٥٢١م واستولوا على عاصمتها « المنامة » وخربوها ، وانشأوا فيها بعض القلاع لهم وقد ظل البرتغاليون في البحرين قرنا كاملا حتى اخرجهم الفرس والعرب منها سنة ١٦٢٢م ثم تحررت من النفوذ الفارسى الذى كان يعتمد على مساندة البريطانيين في سنة ١٧٨٣م

كان احتلال البحرين يمثل مرحلة حاسمة في الغزو البرتغالى للخليج• فبسقوط البحرين تم انتصار البرتغاليين على العرب في الخليج • وهذا الانتصار يمكن ان نعتبره انتصارا آخر لاوربا على العرب في الغرب • ذلك لان الاسبان والبرتغاليين ، في نفس ذلك الوقت تقريبا ، كانوا قد قضوا

على آخر من تبقى من العرب في الاندلس تقتيلا وتهجيرا حتى انهم طاردوا العرب الفارين من اسبانيا الى الشمال الافريقي ذاته .

* * *

مضى على البرتغاليين قرن كامل وهم يصارعون العرب في البحرالاحمر وبحر العرب والمحيط الهندى والخليج العربي . وكانت مقاومة العـرب للبرتغاليين في هذه المناطق لاتتمثل في صورة ثورات كبرى بقدر ما تتمثل في صفة غارات يقوم بها العرب على سفن البرتغاليين وقلاعهم فى سواحل الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية .

دخل المسرح الان ممثل جديد انه الدولة العثمانية . ذلك ان سليمان القانوني الذي أكمل احتـلال العراق ومد حدوده الى أبعـادها الطبيعية في الكويت والقطيف ، ابى الا ان ينازع البرتغاليين وينازلهم في البحر . ففي سنة ١٥٥٠م جهز اسطولا تولى قيادته مصطفى باشا دخل البحر الاحمر واتجه للاستيلاء على جزيرة قمران وميناء المكلا في حضرموت لكي يبقى البحر الاحمر مفتوحا بوجه السفن التركية .

واعدت البرتغال هي الاخرى اسطولا لمجابهة الاسطول التـركي كان يتألف من عشرين قطعة ويقوده الاميرال «دوم انطونيو» لكن الهزيمـة كانت من نصيب البرتغال . ومن يومها اخذت السفن العثمانية تتعـرض للسفن البرتغالية في البحر العربي .

وشجعت هذه الانتصارات السلطان سليمان القانوني على معـاودة الهجوم على البرتغاليين وطردهم ليس من الخليج العربي حسب بل ومن الهند ايضا .

ولذلك بعث سليمان القانوني باسطول يقوده والي مصر فاتجه هذا نحو الهند وحاصر « غوا » مستعمرة البرتغاليين فيها وكاد ينجح في الاستيلاء عليها لولا ان نكث الهنود بوعدهم له فلم يقدموا على مساعدته كما تعهـدوا بذلك قبلا .

وجدد الاتراك محاولتهم سنة ١٥٥١م فارسلوا اسطولا جـديدا يقوده المغامر التركي الشهير «بيرى بك» وقد دخل هذا الاسطول مياه البحر الاحمر فالبحر العربي ، واحتل عدن وظفار ورأس الحد ومسقط وهرمز ، واتجه نحو البصرة لكن البرتغاليين حشدوا قواتهم البحرية على مقربة من جزيرة هرمز فضيقوا الخناق على بيري بك ، وحاصروه واذ ذاك ترك اسطوله يدافع

عن نفسه وهرب هو متسترا الى مصر • واذ اكتشف امره استدعي الى الاستانة حيث قطع رأسه بتهمة الخيانة والتمرد على اوامر السلطان •

ومع ذلك فان هزيمة بيري بك لم تفت في عضد السلطان سليمان القانوني الذى اصدر امره الى مراد باشا حاكم الاحساء والقطيف بان يتولى قيادة السفن الراسية في البصرة ويتوجه بها الى سواحل الخليج • وقد اصطدم مراد باشا بالبرتغاليين فعلا قرب رأس مسندم شمالى عمان لكن النصر كان حليف البرتغال • وحينذاك بعث السلطان سليمان بنجدة بحرية قوية يقودها على بن حسين الرئيس • وقد ابحر هذا من البصرة الى البحرين التي كانت تابعة للعثمانيين آنذاك ومن هناك اتجه نحو رأس المسندم • اما البرتغاليون فانهم احتشدوا في خورفكان وهناك وقعت اعظم معركة بحرية انتصر فيها العثمانيون اذ اخذ على بن حسين الرئيس يطارد البرتغاليين حتى ميناء صحار • وفي هذا الاثناء اتصل زعماء العشائر العربية بالقائد على بن حسين الرئيس – رغم اعمال العسف التي ارتكبها ضدهم بيري بك – واقترحوا عليه بان يبقى سفنه في «جواذر» ثم يفاوض حاكم البلوش في امر مساعدته للاتراك • وقد جمع علي شتات اسطوله وتوجه نحو مسقط لكن الرياح الموسمية قذفت بسفنه الى موانيء الهند محطمة ، ولم يهب الهنود لمساعدته ، ولذلك تفرق رجاله هناك وعاد اكثرهم من الهند الى العراق بطريق البر • وهكذا فشلت هذه الحملة هي الاخرى وانتهت محاولات الاتراك المتكررة في طرد البرتغاليين من الخليج •

وقد افاد البرتغاليون كثيرا من هذه النتيجة اذ اقبلوا على بناء القلاع والحصون في جميع المناطق التي احتلوها في الخليج حيث لاتزال بقايا آثار هذه القلاع والحصون ظاهرة في البحرين ومسقط وعمان وهرمز وعدن وحتى الكويت •

* * *

في بداية القرن السابع عشر كانت البرتغال هي الدولة الاوروبية الوحيدة الموجودة في الخليج العربى • وكانت تركيا هي الدولة الوحيدة التي أخذت تنازعها السيادة في ذلك الخليج • فبينما كان البرتغاليون يحتفظون بسواحل عمان وجزر هرمز والبحرين ، كان العثمانيون يسيطرون على الفاو والكويت والاحساء والقطيف •

غير ان دولة اوربية اخرى ما لبثت ان مدت بابصارها الى الخليج

العربي وهي تتطلع من ورائه الى الهند • تلك هي بريطانيا التي التحمت مع البرتغال في اول معركة بحرية عند الشواطىء الهندية سنة ١٦١٣م •
وتلت ذلك معركة «سورات» سنة ١٦١٥م التى انهزم فيها الاسطول البرتغالي امام الاسطول الانكليزي • ومن حينها امتد الصراع بين الدولتين ، بريطانيا والبرتغال ، في الخليج العربي أكثر من نصف قرن •

أخذ العرب ينتهزون الفرصة التي هيأها هذا الصراع بين تركيا والبرتغال وبريطانيا للتحرر من النفوذ البرتغالى وقد بدأت طلائع الثورة العربية ضد البرتغاليين في البحرين سنة ١٦٠٣م وحينما وجدت البرتغال نفسها في وضع حرج سلمت البحرين الى ايران ، فشجع هذا الضعف القوات الايرانية على مهاجمة القلاع البرتغالية في هرمز سنة ١٦٠٨م كما طرد البرتغاليون من بندر عباس سنة ١٦١٥م •

على ان الثورة العربية تفجرت الان في ساحل عمان • ففي سنة ١٦١٩م ثار العرب في مدينة «قريات» لكن البرتغاليين استطاعوا ان يخمدوا تلك الثورة بسبب عزلتها وانقطاع طرق المواصلات بين الاجزاء العربية التي كانت السفن البرتغالية تحاصر الموانيء فيها غير ان ذلك لم يحل دون قيام تفاهم بين عدد من الشخصيات العربية البارزة الذين اتفقوا فيما بينهم على ان تقوم الثورة في كل الاماكن في يوم واحد ، وان تهاجم المراكز البرتغالية كلها في ذلك اليوم •

اختير اليوم الحادي والعشرين من تشرين الثاني سنة ١٦٢١م موعدا للثورة • ففي ذلك اليوم هاجم العرب مراكز البرتغاليين وسفنهم في البحرين وصحار وقريات ومسقط وخورفكان وقلهات • وقد استمر القتال زهاء ستة اشهر متواصلة سقطت خلالها عدة من هذه الموانىء بيد العرب حيث طلب البرتغاليون نجدات كثيرة لهم من بلادهم •

وفي آخر الامر لجأ البرتغاليون الى الخديعة • فقد وعدوا حكام عمان بالاستقلال والتخلص من سلطة حاكم هرمز الاسمية عليهم شريطة ان تظل المراكز البرتغالية في أمان •

بهذه الوسيلة احدث البرتغاليون انشقاقا بين زعماء الثورة واستمالوا اليهم احد قادتها وهو الشيخ راشد المسقطى الذي مكنهم من بناء المخازن والقلاع في مسقط وبذلك استعاد البرتغاليون سيطرتهم على باب المندب وعدن والمكلا وظفار •

وعندما حاول العرب في هرمز الثورة على البرتغاليين في اواخر تلك السنة خشي الانكليز مغبة ذلك فارسلوا اسطولا الى الجزيرة يحاصرها وقد استسلم الاسطول البرتغالي للاسطول البريطاني في ٢٢ كانون الثاني سنة ١٦٢٢م ولم يشأ الانكليز ان يعلنوا استقلال هرمز وانما سلموها الى الايرانيين الذين كانوا قد تحالفوا معهم ٠

وتجددت ثورة العرب في ساحل عمان سنة ١٦٢٥م وبعث الثائرون برسائل الى اخوانهم رؤساء العرب في كل مناطق الخليج يطلبون اليهم التضامن معهم ٠ وكادت الثورة تعم الخليج كله لولا ان سارع نائب الملك البرتغالي في الهند الى ارسال احد قواده وبرفقته خمس بوارج حربية فطاف هذا بالموانىء العربية في الخليج ، واقنع زعماء العرب بلن لا حاجة الى الثورة ، وانه مكلف بأقالة السنيور «دياجورى ملو» الحاكم البرتغالى العام في ساحل عمان ٠

وحاولت البرتغال بعد ذلك ان تحالف العرب بالخديعة لمناصرتها في استرداد جزيرة هرمز لكن العرب لم ينخدعوا هذه المرة بل على النقيض من ذلك قام عرب البحرين باقفال الطريق بوجه السفن البرتغالية وهاجموا الحامية البرتغالية في المنامة واجبروها على الجلاء عنها ، ثم اشتبكوا مع البرتغاليين في حرب بحرية وبرية ضارية دامت عدة شهور لكنها انتهت بهزيمة العرب الذين كانت تعوزهم الاسلحة الحديثة والسفن الحربية والموانيء ٠

اعطى فشل الثورات المتلاحقة رؤساء القبائل العربية في عمان درسا قاسيا ، وعلمها ان نجاح الثورة رهن بالاتحاد وبانشاء دولة عربية موحدة في عمان ٠ ولذلك تنادى عدد من زعماء القبائل بضرورة تحقيق هذه الحركة ٠ وكان على رأسهم كل من خميس بن سعيد الشقصى ، وسعود بن رمضان النبهاني ، وصالح بن سعيد الزاجلي ٠ وقد اجتمع هؤلاء وغيرهم وقرروا المناداة بالشيخ ناصر بن مرشد اليعربي اماما على عمان كلها سنة ١٠٢٤هـ = ١٦٢٤م

وقد ايدت بقية المقاطعات هذه القرارات ودانت للامام ناصر الذي اتخذ من مدينة «نزوى» عاصمة له وراح يستعد لمنازلة البرتغاليين ٠

وجد البرتغاليون ان اتحاد العرب وتشكيلهم دولة موحدة يؤلف خطرا اكيدا عليهم في الخليج العربي كله ٠ ولذلك عمدوا الى بث التفرقة

والفتن وحبك المؤامرات ضد هذه الحركة العربية الجديدة • وقد اعدوا مؤامرة لاغتيال الامام ناصر اليعربي في نزوى لكنه استطاع ان يخمدها وهي في مهدها •

ولما افشلت هذه المؤامرة عمد البرتغاليون الى شراء ذمة احد المشايخ بالمال وهو مانع بن سنان العميرى حاكم مدينة «سمائل» فقد استطاع هذا الخائن ان يغري بعض القبائل بالهجوم على نزوى لكن المدن القريبة من العاصمة سارعت الى نجدتها ومساندة الامام ناصر واذ ذاك هرب الخائن مانع بن سنان والتجأ الى ميناء « لوي » الذي يقع على بعد خمسة عشر ميلا من صحار • ومع ان الامام ناصر لم يستعد للمعركة الاستعداد اللازم نتيجة انشغاله باخماد الحركات الداخلية ، الا انه هاجم ميناء لوي وطرد البرتغاليين منه والقى القبض على العميل مانع العميري •

كان لهذا الانتصار اثره الفعال في رفع معنويات العرب ، وفي التفاف القبائل العمانية حول الإمام ناصر ومعاونته على تأسيس دولة اليعاربة في عمان •

فقد وجد العرب بعد ذلك ان عليهم ان يهاجموا البرتغاليين في مراكزهم القوية • وقد بادر الامام ناصر بن مرشد بارسال حملة يقودها مسعود بن رمضان لاسترجاع مسقط من ايدى البرتغاليين • وسار مسعود بحملته واستطاع أن يدخل المدينة فعلا لكن البرتغاليين اعتصموا بقلاعهم ، وعرضوا عليه ان يدفعوا الى الامام جزية سنوية ، وان يكفوا عن التآمر عليه • ومع ذلك فان هذا الاتفاق لم يحل دون مهاجمة العرب للمراكز البرتغالية حيث تم تحرير مينائي صحار ورأس الخيمة ، واجلاء البرتغاليين عنهما تماما •

وفي الوقت ذاته كان البرتغاليون قد اخرجوا من جزيرة هرمز فاتجهوا سنة ١٦٣٤م نحو البصرة حيث انشأوا لهم مركزا للتبشير فيها وظاهروا الاتراك في الدفاع عنها حين تعرضت لغارات الفرس •

تمرد البرتغاليون سنة ١٦٤٨م على الامام ناصر اليعربي وابوا دفع الجزية المفروضة عليهم ، واذ ذاك جهز الامام حملة كبيرة ضدهم كان يقودها الفارس المغوار خميس بن سعيد وحين رابط الجيش العربي في « بشير » على مبعدة عشرين ميلا من مسقط بعث البرتغاليون بوفد منهم للتفاوض مع خميس بن سعيد وقد تم التوصل معه الى الشروط التالية :

١ ـ ان يدفع البرتغاليون الاتاوة المطلوبة منهم بصورة منتظمة •

٢ ـ ان يسلم البرتغاليون الى العرب مراكزهم في «مطرح» التي كانت تقع على بعد ميلين ونصف الميل عن مسقط ٠

٣ ـ ان لا يتعرض البرتغاليون لحرية العمانيين في الملاحة ٠

٤ ـ ان يمتنع البرتغاليون عن القيام باية اعمال عدوانية ضد الامام ٠

٥ ـ ان يسلم البرتغاليون جميع التحصينات التي يحتفظون بها خارج مدينة مسقط الى الامام ناصر اليعربي ٠

وطبقا لهذه الاتفاقية اخرج البرتغاليون من مدن صور وقلهات وقريات وبقية الموانىء العمانية ٠

توفي الامام ناصر بن مرشد اليعربي ، وهو في السادسة والاربعين من عمره ، في العاشر من شهر ربيع الثاني سنة ١٠٥٠هـ [١٦٤٨م] فانتخب العمانيون خلفا له ابن عمه سلطان بن سيف ٠ وقد بدأ الامام سلطان حكمه بالتأكيد على انشاء قوة بحرية كبيرة يستطيع بها منازلة البرتغاليين في البحار العربية ٠ وبعد ان اتم بناء اسطوله ذاك واستعد للقتال تمام الاستعداد فاجأ البرتغاليين بالهجوم على مدينة مسقط ٠ وقد بدأ الهجوم سنة ١٦٤٩م ودارت معارك ضارية استطاع العرب فيها اجبار القائد البرتغالي « بارير » على ان يترك المدينة ويتحصن في بعض القلاع لكن القوات العربية حاصرت تلك القلاع ذاتها وارغمتها على الاستسلام وذلك في اليوم الثامن والعشرين من شهر كانون الثاني سنة ١٦٥٠م ٠

ولقد حاول البرتغاليون بعد تلك الهزائم اعادة الكرة لاحتلال مسقط، وجلبوا اسطولا كبيرا زودوه بالعديد من الرجال لكن السفن العربية استقبلت ذلك الاسطول في خليج مسقط فهزمته ٠ ولم يكتف العرب بهذا وحده بل راحوا يطاردون البرتغاليين حتى في سواحل الهند وفي سواحل افريقيا الشرقية التي حرروها من الحكم البرتغالي واعادوا الحكم العربي فيها ٠

ولقد سجل الشاعر العماني خلف بن سنان الغافرى انتصارات امام عمان تلك على البرتغال في قصيدة طويلة عدد فيها الاماكن والمدن التي حررها العرب من البرتغاليين وفي تلك القصيدة يقول الغافرى :

ولدى زنجبار زمجر فيهم رعد زجر لم ينج منه اعتصام

وببومبي نابهتم منـــه نــاب لم ينبه عن المضي انهشـــام
وانثنى منهم بعدة افـــلا ك تراءى كأنهــــا اعــلام

وما حلت سنة ١٦٨٠م حتى خلت جميع السواحل العربية ومنـاطق الهند وافريقيا الشرقية من حكم البرتغال ولم تبق لهم فيها سوى بقايا حصون وقلاع خاوية الاطلال •

وبالقضاء على الغزو البرتغالي في الخليج وبقية البحار العربية الاخرى استطاع العرب ان يربحوا الحرب الصليبية الثانية التي جردتها اوربـــا ضدهم في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، لتبدأ بعدها الحـــرب الصليبية الاخيرة بحلول الهولنديين والفرنسيين والانكليز محل البرتغاليين في الخليج العربي منذ اواخر القرن الســـابع عشر حتى اوائل القــرن العشرين •

الفصل الرابع

اصطراع العرب مع الهولنديين وبوادر التدخل الانكليزي في الخليج

ظهرت هولندا على مسرح الاستعمار بشكل صريح بعد ان ضمت اسبانيا والبرتغال اليها سنة ١٥٨٠م وكانت هولندا قبل ذلك التاريخ تعد من البلدان التي تخصصت فى نقل تجارة الشرق من لشبونة عاصمة البرتغال الى ميناء « انتورب » البلجيكي على ساحل بحر الشمال ، اذ كان هذا الميناء يمثل المستودع العام للتتجارة في اوربا آنذاك • فبعد ان سيطر البرتغاليون على سواحل الهند والملايو وسواحل البحر الاحمر واحتلوا الموانىء العربية في البحر لعربي وفي لخليج ، اخذت تجارة الشرق كلها تتكدس في لشبونة ومن هناك ينقلها الهولنديون الى اوروبا •

وعندما عمدت اسبانيا فيما بعد الى اغلاق مينائي لشبونة وقارص [في الشمال الافيقي] بوجه الهولنديين اضطر هؤلاء الى ان يبحثوا بانفسهم عن طريق جديد يوصلهم الى الشرق • وقد ارسلوا لهذا الغرض عددا

من البعثات الاستكشافية منها بعثة « وليم بارنتز » ما بين سنتي ١٥٩٤-١٥٩٦م • غير ان هذه البعثات اخفقت في الكشف عن طرق خاصة توصل الهولنديين الى الشرق • وحينئذ لم يجد هؤلاء امامهم سوى البرتغاليين فاستغلوا ضعف مراكزهم وشرعوا ينافسونهم في طرقهم ، ويستولون على تلك المراكز بالقوة واحدا اثر واحد •

كان الرحالة الهولندي [يان فان لنشوتن] اول من فتح عيون الهولنديين على اهمية الهند ، واستحثهم على منازلة العرب والبرتغاليين في الخليج العربي وفي السواحل الهندية •

فلقد سافر هذا الرحالة الى الهند سنة ١٥٨٣م واقام فيها حوالى ثلاث عشرة سنة جمع خلالها معلومات ضافية عن منتجات الهند وطرق المواصلات فيها ، بالاضافة الى الالمام بالطريق البحري بين لشبونة والهند• وقد طبع لينشوتن معلوماته هذه في كتاب ضخم سنة ١٥٩٢م • وما ان اطلع عليها عدد من تجار « امستردام » حتى قرروا ارسال مبعوث من قبلهم الى الهند للتأكد من صحة المعلومات التي اوردها لنشوتن في كتابه ذاك •

كان ذلك المبعوث الذى اختاره التجار الهولنديون يدعى «كورفيليس هوتمان» فبعد ان قام هوتمان بهذه المهمة عاد من الهند الى لشبونة ومنها الى هولندا حيث اقترح ارسال اسطول هولندى الى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح ، وان يتولى هو نفسه قيادة ذلك الاسطول • وهيأت هولندا هذا الاسطول فعلا فابحر من هولندا الى الشرق لكن الاهوال صادفته في طريقه الى الهند اذ هلك اكثر من ثلثي ملاحيه، وتحطمت معظم سفنه • وحين عاد هوتمان الى هولندا سنة ١٥٩٧م لم يكن بقي معه من اسطوله سوى سفينة واحدة •

ومع ذلك فان هذه الرحلة استطاعت ان تفتح ارخبيل جزر الهند الشرقية امام التجارة الهولندية •

وفي الفترة ما بين ١٥٨٩-١٦٠١م ارسلت هولندا خمسة عشر اسطولا جديدا الى الشرق استولت على كثير من المراكز البرتغالية فيه •

على ان اهم نتيجة لرحلة هوتمان الى الهند كانت ظهور مؤسسات تجارية هولندية في سنة ١٥٩٧ اطلقت على نفسها « جمعية التجارة مع الاقطار البعيدة » •

وفي سنة ١٦٠٢م تأسست « شركة الهند الشرقية الهولندية » التي تساهمت فيها عدة شركات هولندية وكانت اداة للاستعمار الهولندي على

غرار امثالها من الشركات الانكليزية والفرنسية • وقد ركز الهولنديون نشاطهم لاحتلال المراكز البرتغالية في الهند وخارجها حيث اندفعوا الى الملايو واندونوسيا فاحتلوا جزيرة « ملقا » سنة ١٦٠٧م ، واسسوا مدينة « بتافيا » في اندونوسيا سنة ١٦١٤م ، ثم مدوا من هناك خطوط استعمارهم الى الامريكتين فاستراليا •

اما في الخليج العربي فقد مركز الهولنديون نشـاطهم في ايران ، ومنافسة الانكليز الذين بدأوا فعالياتهم الاستعمارية هناك منذ امد بعيد •

ولقد استعمل الهولنديون اسلوب الرشوة لمزاحمة الانكليز فيايران، ورفعوا اسعار السلع الايرانية التي كانوا يشترونها هناك • بل انهم قاموا حتى بارشاء موظفي شركة الهند الشرقية الانكليزية في ايران الى درجـة ان الوكيل البريطاني الذى كان يعمل في اصفهان لم يتردد عن تقـديم القروض الى التجار الهولنديين الذين كانوا يزاحمون الشركات البريطانية في تلك المنطقة مزاحمة علنية •

وذكر احد الرحالين الهولنديين الذين زاروا بندر عباس سنة ١٦٣٨م انه كان يوجد في تلك المدينة وكالتان احداهما هولندية والثانية انكليزية• بل كانت هولندا في سنتي ١٦٣٩ـ١٦٤٠م تمتلك اكثرية البواخر والبضائع في ميناء بندر عباس •

وفي سنة ١٦٤٥م بدأ الهولنديون باول واكبر حملة بحرية في الخليج العربي لتركيز نفوذهم فيه وفي ايران بصفة خاصة •• ففي تلك السـنة بعثوا باسطول ضخم يقوده الكوماندر « بلوك » وحين وصل هذا الاسطول الى الشواطيء الايرانية اراد قائده اشاعة الخوف في نفوس الايرانيين بأن طلب الى الحكومة الايرانية دفع مبلغ اربعـة الاف وتسعمائة تومان الى الوكيل الهولندى في بندر عباس على زعم ان الامتياز الممنوح للوكـالة الهولندية يعفيها من دفع الضرائب عن بضائعها •

ولقد اشتد الخلاف بين هولندا وايران واصبح التصادم بينهما قاب قوسين أو أدنى • وخشى الانكليز مغبة ذلك التصادم فنقلوا بضائعهم من بندر عباس الى البصرة •

وجرت مفاوضات بين الهولنديين والايرانيين سـنة ١٦٤٥م لكن الفشل كان نصيبها • وفي ايلول من تلك السنة هاجم الاسطول الهولندى جزيرة « قشم » وعلى الرغم من الخسائر الكبيرة التي تكبدها فلم يستطع

اختلال الجزيرة • وفي أثناء ذلك سافر الكوماندر بلوك الى اصفهان وقابل شاه ايران وحصل منه على اذن بتصدير الحرير الايراني من اية بقعة من بقاع ايران ومن دون دفع اية ضريبة •

وأعقب نجاح الهولنديين في ايران ، توسيع نفوذهم التجاري وامتداده الى العراق حيث بعثوا باسطول مؤلف من ثماني سفن الى البصرة وقضوا على الوكالة الانكليزية التي انشئت هناك • وقد بلغ النفوذ الهولنـدي في الخليج العربي ذروته سنة ١٦٤٩م •

وكان الهولنديون قد وصلوا الى عدن لاول مرة سنة ١٦١٣م ••• ففي تلك السنة بعث الحاكم الهولندي في اقليم « بانتام » بالهند بسفينة يقودها بيتر فان دون بروكه الى عدن ليعرف الامكانيات المتوفرة انذاك للمتاجرة ما بين هولندا وسواحل الجزيرة العربية • ورغم الاستقبال الحسن الذى لقيه آمر السفينة من آمر الحامية العثمانية في عدن الا ان والي صنعاء لم يسمح لدون بروكه بالاقامة فيها فغادرها الى الشحر وحظى بتكريم سلطانها له • وقد عاد دون بروكه الى الشحر مرة اخرى سنة ١٦١٦م وانتقل منها الى « مخا » و « موزع » و « حاسب » وغيرها •

وما ان حلت سنة ١٦١٨م حتى كانت شركة الهند الشرقية الهولندية قد حصلت على ترخيص من السلطان العثماني بالمتاجرة مع الموانيء اليمانية على ان الانكليز لم يهن عليهم بلوغ الهولنديين ما بلغوه من نفوذ في تلك الاصقاع فاصطدموا بهم • وهكذا دارت في سواحل اليمن معركة بحرية بين القوات الهولندية والقوات الانكليزية قتل فيها القائد البريطاني «غوردإين» •

واخذ عدد السفن الهولندية المرسلة الى ايران بعد تلك المعركة يتعاظم باطراد • ففي سنة ١٦٥٠م وصلت عشر سفن هولندية الى ميناء بندر عباس افرغت فيه حمولة هائلة من السلع • كما استورد الهولنديون في تلك السنة كميات كبيرة من الحرير الايراني بلغت اثمانها مليون ونصف مليون باون • وفي السنة التالية وصلت الى الميناء ذاته احدى عشرة سفينة هولندية تحمل سلعا تقدر قيمتها بمائة الف باون • ومع ذلك فلم يمنح شاه ايران الوكالة الهولندية في بندر عباس من الامتيازات ما منحه الى الوكالة الانكليزية لانه كان يذكر مساعدة الانكليز لايران في مقاومة البرتغاليين في الخليج ولاسيما في البحرين •

وقد بلغ التنافس بين هولندا وبريطانيا ذروته سنة ١٦٥٢م وقدادى ذلك الى نشوب الحرب بينهما في اوروبا حيث حطم الانكليز الاسطول الهولندي في المياه الاوروبية • وكان لهذا الانتصار اثره في وضع الدولتين المتصارعتين في الخليج العربي ايضا • ذلك ان البريطانيين استغلوا تلك الانتصارات فارغموا الهولنديين على دفع تعويضات ضخمة الى شركة الهند الشرقية الانكليزية • وكان من بين تلك التعويضات مبلغ نقدي قدره خمسة وثمانون الف باون •

وتجددت الحرب ثانية بين هولندا وبريطانيا في سنة ١٦٥٤م في بحر الشمال • وفيها اجبرت هولندا على التراجع الى موانئها الاصلية •

ولقد كان رد الفعل لهذه الحرب في الخليج العربي اشد واقوى اذ قامت قطع من الاسطول الهولندي في الخليج بمحاصرة اسطول شركة الهند الشرقية الانكليزية في ميناء « سورات » بالهند •

وكان الهولنديون في الهند ، منذ ان وقعت الحرب الهولندية البريطانية الاولى ، قد سارعوا الى التحالف مع البرتغاليين خصوم الانكليز هناك بقصد تحطيم التجارة الانكليزية في الشرق ، لكن البرتغاليين رفضوا التحالف في هذا الشأن مع الهولنديين • وسبب ذلك ان الانكليز سبقوا الهولنديين في الاتصال مع البرتغاليين والتفاوض معهم لنفس الغرض الا وهو التحالف ضد هولندا •

حينئذ لم يجد الهولنديون امامهم سوى القيام بمغامرة في الخليج العربي وذلك بالتصدي للسفن البريطانية فيه ، وقد استطاعوا ان يأسروا اثنتين من سفن شركة الهند الانكليزية على مقربة من ميناء « جسك » كما اسروا سفينة ثالثة وحطموا اخرى •

وفي اوائل سنة ١٦٥٤م قامت خمس سفن هولندية بمهاجمة السفينة البريطانية « اندتفور » واحرقتها عند شاطىء بندر عباس ، كما اسرت السفينة البريطانية المسماة « فالكون » ايضا • وبهذه الوسيلة سيطر الهولنديون على المداخل الشمالية للخليج العربي الامر الذى اضطر الانكليز الى اغلاق وكالتهم في لبصرة ، وشرعوا يفكرون في ارسال الحرير الى اوروبا عن طريق اصفهان وتبريز فالاناضول •

اخذت قوة هولندا البحرية في الخليج العربي تبث الفزع في نفوس رجال شركة الهند الشرقية الانكليزية ولاسيما بعد ان ازدهرت التجارة

الهولندية في ايران في عام ١٦٦٤م حيث غدا في مقدور التجار الهولنديين ان يرسلوا عددا من السفن المحملة بالبضائع الى بندر عباس كل سنة ٠

وكان الهولنديون في ذلك الوقت يصدرون من ايران عدة مواد منها السكر والحرير والسجاد والذهب والنحاس والفضة وكان من جـراء تحريضات مبعوثي الانكليز لدى الشاه ضد الهولنديين ان تفاقمت المنازعات بين هولندا وايران حيث ضرب الاسطول الهولندي الحصار على بندر عباس في سنة ١٦٨٤م ٠ وقد وجهت شركة الهند الانكليززية من مقرها في لندن تقريعا شديدا الى وكالتها في ايران لانها لم تبلغها بوقوع هذا الحادث في حينه ٠

ونشطت الوكالة الهولندية في اصفهان سنة ١٦٨٦م في احداث شقاق بين شاه ايران والوكالة الانكليزية لكن هذه المحاولات لم تنجح بسـبب الدور الذى لعبه مترجم الوكالة الانكليزية ، وهو ارمني ، الذى كان يتجسس لها على الوكالة الهولندية ٠

* * *

في اواخر القرن السابع عشر دخل الخليج العربي مغامر اوروبي آخر يريد ان يجرب حظه فيه ذلك المغامر هو فرنسا التى شرعت تبذل اهتماما متزايدا بالمتاجرة مع الشرق ، وسلوك نفس الطريق الذى سلكته البرتغال وهولندا وانكلترا من قبلها ٠ وكان من نتائج ظهور فرنسا في الخليج العربي ان تهادنت الدولتان المتنافستان بريطانيا وهولندا ، ثم تحالفتا ضد فرنسا ليس في الشرق حسب بل وفي اوربا ايضا ٠ وقد نجم عن هذا التحالف ضعف ملموس في المراكز الهولندية في الخليج وتغلب النفوذ الانكليـزي عليها ٠

لكن تلك المهادنة لم تحل دون ان تكيد اى من الدولتين احداهما ضد الاخرى ٠ فلقد راح الهولنديون يسعون من جديد الى اجتذاب شاه ايران الى جانبهم ٠ ففي سنة ١٦٩٠م قام احد السفراء الهولنديين بزيارة اصفهان عاصمة ايران انذاك ، كما اعقبته بعثة دبلوماسية هولندية اخرى تحمل الى الشاه هدايا ثمينة ٠

كان القصد من وراء ذلك النشاط الحصول من الشاه على اذن يخول الهولنديين حق احتكار تجارة الصوف في « كرمان » ٠ ومع ان السـفير الهولندى اخفق في مهمته تلك الا انه استطاع أن يغري ممثل الشاه في بندر

عباس سنة ١٦٩١م بان يشدد النكير على الانكليز هناك ، ونتيجة لذلك تعذر على الوكالة الانكليزية افراغ بضائعها في بندر عباس في تلك السنة •

وكان من اثر توثق العلاقات بين الهولنديين والايرانيين ان احس عرب الخليج بخطر الدور الذى تلعبه ايران في تثبيت النفوذ الاجنبي في الخليج العربي • ولذلك شرع العرب منذ سنة ١٦٩٥م وما بعدها يهاجمون السفن الايرانية الى جانب السفن الهولندية بلا انقطاع حيث تفاقم اصطراع العرب مع الهولنديين بعد ذلك التاريخ تفاقما واسعا • وسبب ذلك ان الهولنديين ساروا على ذات الخطة التي سلكها الانكليز اذ راحوا يقوون الفرس ويمكنونهم من توطيد اقدامهم في بعض مناطق الخليج حيث توالى اصطدام العرب بالحملات الايرانية الهولندية المشتركة على البحرين ، وعلى ساحل عمان ، وقطر حتى سنة ١٧٤٠م •

كان البارون نيفوسن من الذين مكنوا للنفوذ الهولندي في الخليج العربي • فقد عين معتمدا لشركة الهند الشرقية الهولندية في الخليج العربي كله ، واتخذ مقره في مدينة «البصرة» • ومن هناك كان يشرف على جميع المصالح الهولندية في العراق وايران والخليج العربي • وظل في هذا المنصب ثلاثا وعشرين سنة اى من ١٧٣٠ الى ١٧٥٣م وهي السنة التي طرده فيها الاتراك من البصرة حين استولوا على الوكالة الهولندية فيها • وقد رحل البارون نيفوسن من البصرة الى « الخرج » [خارك] ومر في طريقه بجزيرة « ريج » [ريگ] وهناك اتصل بحاكم الجزيرة العربي الشيخ ناصر فحصل منه على امتياز بانشاء وكالة هولندية في الجزيرة لقاء مبلغ سنوي معين • وما أن وافق الامير ناصر على ذلك حتى تطلع البارون نيفوسن الى جزيرة الخرج التي كانت تخضع لسلطة الامير ذاته واذ ذاك انتقل نيفوسن الى الخرج واقام له فيها مستودعا للوكالة زوده باربعة مدافع • وما ان رأى الامير ناصر ما فعله نيفوسن حتى استاء منه فهاجم الهولنديين لكنه لم يستطع التغلب عليهم ، وحينئذ اقنع البارون نيفوسن مقر الشركة الهولندية في « بتافيا » بجزيرة « جاوة » بان تجرد حملة بحرية ضد جزيرة الخرج • واعدت هذه الحملة وتوجهت نحو ميناء بندر عباس اولا لغرض التمويه على الانكليز والفرس والعرب معاً •

كان نيفوسن نفسه يقود تلك الحملة وقد تظاهر انه يريد الابحار الى البحرين لكنه ما لبث ان توجه الى الخرج فاحتلها بالقوة • وقد حكم

نيفوسنن الخرج خمس سنوات كانت علاقاته اثناءها مع الامير ناصر جد متوترة • كان العرب في ذلك الوقت يوالون غاراتهم الجزيئة المتواصلة على المراكز والسفن الهولندية في الخليج • ومن تلك الغارات غارة كبرى قام بها الشيخ عبدالله امير جزيرة قشم في الثالث والعشرين من شهر نيسان سنة ١٧٥٣م على السفينة الهولندية « تانسى » التي كانت تسير على مقربة من الجزيرة حيث استولى على ما فيها من البضائع واحرقها • وظلت السفن الهولندية سنوات عديدة لاتجرأ على الظهور علانية في مياه جزيرة الخرج خوفا من مهاجمة العرب لها • وقد ذكر المستر « وود » احد وكلاء الشركة الانكليزية عند زيارته لجزيرة الخرج سنة ١٧٥٦م ان الهولنديين كانوا يقومون هناك برحلات لصيد اللؤلؤ تتصف بالسرية التامة خوفا من غارات العرب عليهم • بل ان الهولنديين فكروا في ترحيل العرب من الجزيرة كيما يأمنوا شرهم •

في سنة ١٧٥٩م تولى فان در هولست وكيل الشركة الهولندية في البصرة منصب حاكم جزيرة الخرج خلفا للبارون نيفوسن • وسرعان ما استعرت نار الحرب بين العرب والهولنديين وكان اول الثائرين هو الشيخ مهنا بن الشيخ ناصر حاكم جزيرة ريج ففي سنة ١٧٦٠م اعد الشيخ مهنا عددا من القوارب نقل فيها اكثر من مائة من رجاله المسلحين بالسيوف فاغاروا على جزيرة الخرج لكن مدافع الهولنديين المنصوبة في القلعة ردتهم على اعقابهم • على ان رجال الشيخ مهنا لم ينسحبوا من الجزيرة بل كمنوا وراء الصخور على الشاطىء حتى اذا قدمت الجزيرة سفينتان هولنديتان اغاروا عليهما فنهبوا ما فيهما من اموال احرقوهما وعادوا بقواربهم الى جزيرة ريج •

وما ان علمت السلطات الهولندية في بتافيا بهذه الوقائع حتى استدعت فان درهولست حاكم خرج اليها للاستفسار منه• غير ان هذا خاف مغبة الامر فترك سفينته في بندر عباس وطلب الى الوكالة الانكليزية فيها اعتباره لاجئا سياسيا ، ثم غادر الشرق عائدا الى اوروبا عن طريق بومباى •

وقد اعقبه في حكم جزيرة الخرج المسيو بوخمان الذى رأى ان من مصلحته ان يصافح العرب ويكسب ودهم ولذلك انشأ علاقات طيبة معهم ولاسيما مع الشيخ مهنا • لكن الشيخ مهنا حاول ، رغم ذلك ، الانتقاض على الهولنديين • فقد حدث ان بعث ببعض رجاله الى المسيو بوخمان

للتفاوض معه في بعض الشوءون المعلقة ، وقد اوصاهم ان يحاولوا الاستيلاء على القلعة الهولندية في الخرج اذا ما وجدوا الفرصة مواتية لذلك • غير ان بوخمان اوجس من ذلك الوفد العربي خيفة ، وقبل ان ينزل الوفد الى بر الجزيرة كانت الاوامر قدصدرت الى قطع الاسطول الهولندى ان تقوم بتظاهرة بحرية وبهذه الحيلة احبط محاولة الشيخ مهنا •

وحين نقل بوخمان من منصبه وعين المسيو فان هاوتنغ حاكما للخرج لم يكن هذا على علم بعادات العرب ونفورهم من الحكم الاجنبي ولذلك احتدم الخلاف بينه وبين الشيخ مهنا • وزاد من حدة ذلك الخلاف ان هاوتنغ لم يقف على الحياد في النزاع الذى نشأ بين الشيخ مهنا وحاكم ابي شهر اذ اتفق هاوتنغ مع حاكم ابي شهر وهاجم الشيخ مهنا في جزيرة [خاركوه] وقد استعمل الشيخ مهنا الحيلة والذكاء في هذه المعركة اذ سمح للقوات الهولندية والايرانية بالتوغل الى داخل الجزيرة ، ومن ثم انقض عليها بخيالته واعمل ورجاله السيف فيها ففر الهولنديون والايرانيون من الجزيرة ناجين بانفسهم تاركين قتلاهم وجرحاهم في ارض المعركة •

ولم يكتف الشيخ مهنا برد هذه لحملة الهولندية الايرانية المشتركة بل اتجه نحو جزيرة الخرج ذاتها فانزل قواته فيها وحاصر المدينة • ولم يجد الحاكم الهولندي هاوتنغ أمامه الا أن يطلب المفاوضة • لكنه ما لبث بعد أن وصل الشيخ مهنا وبعض أتباعه الىمدينة الخرج ان نقض وعده وأمر باعتقالهم جميعا وارسالهم الى بتافيا وكان ذلك في كانون الاول سنة ١٧٦٥م

وقد تحدث الرحلة الدانمركي الشهير « نيبور » عن الشيخ مهنا واسرته فقال ان امارة ابي شهر كانت تحكمها ثلاث اسر عربية منها اسرة المطارفة التي ينتمي اليها الشيخ « نافر » الذى كان يمتلك جزيرة «ريج» الواقعة شمالى بو شهر وكان «كريم خان» الفارسى يدعى السيادة على هذه الجزيرة وقد اصطدم بالشيخ مهنا عدة مرات • وحدث ان وقع الشيخ مهنا اسيرا في يد كريم خان مرتين لكنه استطاع ان يفلت من الاسر وما ان وطأت قدماه شطئان بلاده حتى اخذ يهاجم القوافل الهولندية والايرانية ما بين شيراز وابى شهر •

وحاول كريم خان الاستيلاء على جزيرة ريج فبعث اليها باسطول حاصرها عدة ايام لكنه ارتد عنها خائبا •

وكرر كريم خان حملته بجيش قوي في سنة ١٧٦٥م استطاع به ان يحتل جزيرة ريج لكن الشيخ مهنا انتقل الى جزيرة [خاركوه] فلبث هناك الى ان انسحب الجيش الايراني من ريج فعاد اليها وطرد الحامية الإيرانية الموجودة فيها واستعاد كل ممتلكاته فيها •

ومن القبائل العربية الاخرى التي قاومت الغزو الهولندي والفارسى والانكليزي معا قبيلة « الحولة » التي كانت تسكن الساحل الشرقي من الخليج العربي وفي المنطقة الممتدة من بندر عباس الى رأس بردستان وكان من اشهر زعماء هذه القبيلة هو الشيخ « مسير » الذى يقول نيبور عنه ان كان يملك مدن كونك ولنجه ورأس حتى وغيرها ، وان زعماء غيره من نفس القبيلة كانوا يحكمون نبند وبندر نخيلو وشيلو وكنكون وغيرها

وقد كان الفرس في عهد هذه القبيلة محصورين في منطقة ضيقة جدا بين رأس بردستاى وبوشهر •

ومن القبائل الاخرى قبيلة بني كعب وقد اشتهر من زعمائها الشيخ سلمان بن سلطان بن ناصر الذى تصدى للانكليز وحاربهم واستولى على بعض سفنهم •

وقد استمر وجود الوكالة الهولندية في بندر عباس مدة خمس سنوات اخر بعد تأسيسهم وكالتهم في جزيرة الخرج • وفي شباط ١٧٥٩م اجبر الهولنديون على نقل وكالتهم من بندر عباس الى الخرج • وكانوا قبل ذلك التاريخ بسبع سنوات قد انسحبوا من البصرة • كما جلوا عن ميناء بو شهر في سنة ١٧٥٣م •

غير ان نهايتهم في جزيرة الخرج كانت في سنة ١٧٦٥م حين هاجمهم الشيخ مهنا في تلك السنة مجددا فاستطاع ان يهزمهم وان يطردهم من الجزيرة نهائيا ويضمها الى املاكه الواسعة •

لقد خرج الهولنديون من الخليج العربي بعد ان مكثوا فيه مائةوثلاثين سنة ليحل محلهم فيه غزاة جدد مثلهم هم الانكليز والفرنسيون وبذلك بدأت صفحة جديدة من صفحات الصراع الاستعمارى الاوربي للسيطرة على الخليج وما يزخر به من كنوز •

الفصل الخامس

التنافس بين فرنسا وبريطانيا وتركيا في الخليج

كان من اهم النتائج التى نجمت عن اكتشاف العالم الجديد ، القارتين الامريكتين واستراليا ، ان ازدادت موارد الدول الاوربية التي سارعت الى استعمار ذلك العالم الجديد ونعنى بها اسبانيا وهولندا وفرنسا وبريطانيا ٠

وقد ازداد التنافس بين هذه الدول حدة في سبيل الاستئثار بالموارد والمواد الاولية في تلك القارات واحتكار الطرق المؤدية اليها ٠

وفي الوقت الذى بلغ فيه هذا التنافس الاستعماري ذروته كانت الثورة الصناعية في جميع انحاء اوربا قد بلغت اوجها هى الاخرى بما اخترع من الآلات والمحركات التي أخذت تؤدي الخدمات الواسعة في النقل وفي الانتاج بدلا من الوسائط القديمة البالية ، حيث كانت هذه المخترعات تنزع الى توسيع مجالات العمل والنشاط وزيادة المنافع ومضاعفة التعاون بين الافراد بشكل لم يكن البشر يتوقعه ولا كانت عقول الناس مهيأة لتقبله ٠

وبعد ان كانت اوربا تنشد الوصول الى الشرق للحصول على التوابل والعطور دفعت بها الثورة الصناعية الى البحث عن المواد الاولية اللازمة لتشغيل مصانعها ، والى ايجاد الاسواق الضرورية لتصريف الفائض من صناعاتها ٠

وهذا التطور الخطير في اغراض الدول الاوربية من الاستيلاء على الاقطار الاخرى احدث تطورا في وسائل تنفيذها، فبعد ان كانت اوربا ترسل البعوث لاستكشاف طرق التجارة وتؤسس الشركات لاحتكار موارد الاقطار الاخرى، اخذت ترسل الجيوش الجرارة والاساطيل الهائلة للاستيلاء بقوة السلاح على البلدان التي تتوفر فيها المواد الخام او تلك التى تقع على الطرق المؤدية اليها ٠

حين حل القرن السابع عشر كان الشرق لا يزال يؤلف المذخر الهائل الذي تعتمد عليه اوربا في الكثير من المواد الاولية التي تحتاج اليها صناعاتها٠ وكانت البرتغال وهولندا تكادان تستأثران لوحدهما بتلك الموارد ، وبالبلدان التي تتوفر فيها ٠ ولهذا رأينا فرنسا وبريطانيا تدخلان ميدان الصراع في الشرق في وقت واحد تقريبا ، وتنازلان البرتغال وهولندا على انفراد تارة وعلى اشتراك تارة اخرى ٠ ثم لا تلبثان ان تصطرعا فيما بينهما ، وقد تحالف احداهما البرتغال مرة وتحالف الاخرى هولندا مرة ثانية ثم تختصمان زمنا بعد التحالف والتعاون ٠

وبنفس النمط الذى سارت عليه هولندا وانكلترا من قبل ، اقدمت فرنسا هى الاخرى على تأسيس شركة الهند الشرقية الفرنسية في مدينة « بوند شيري » في الهند ٠ لكن انشاء الشركة الفرنسية جاء في وقت متأخر جدا عن الشركة الانكليزية التي سبقتها بأكثر من مائة سنة ٠

ولقد حمى وطيس التنافس على المستعمرات بين فرنسا وبريطانيا وتحول ذلك الى وقوع حرب السبع سنوات بينهما في اوربا التي نشبت سنة ١٧٥٦م ٠ وفي اثناء تلك الحرب هجم الانكليز على مقر الشركة الفرنسية في بوند شيري واحتلوه ، وانتزعوا من الفرنسيين كل ما كان لهم من نفوذ في اقليم مدراس بالهند ٠

وقضت معاهدة باريس التي عقدت سنة ١٧٦٣ في أعقاب حرب السبع سنوات بسلخ كندا وبوند شيري عن فرنسا ومع ان الممتلكات الفرنسية في الهند قد اعيدت الى فرنسا الا ان النفوذ الفرنسي فيها لم يستطع الصمود بوجه النفوذ الانكليزي طويلا ٠

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان الوزير الفرنسي الخطير ريشيليو هو الذي انشأ شركة الهند الشرقية الفرنسية وكانت جزيرة مدغشقر هي المقر الرئيس لها ٠ ثم اعقبه الوزير فرانسوا ماتان في انشاء فرع لها في

بوند شيري باقليم مدراس في الهند .

* * *

كانت مساهمة بريطانيا في حركة الاستكشاف التي بدأتها الـدول الاوربية في اواخر القرن الخامس عشر ضعيفة . ولذلك فضلت بريطانيا الطرق البرية على المسالك البحرية في الوصول الى الشرق فاخذت منذ سنة ١٥٥٣م ترسل البعثات لاكتشاف هذه الطرق عبر اوربا وروسيا فتركستان فالهند . كما شرعت قبل ذلك الوقت بالمتاجرة مع تركيا والحصول على امتيازات منها وقد اعقب ذلك وصول اول سفير بريطاني الى الباب العالي سنة ١٥٧٨م وحصوله على اذن من السلطان مراد يسمح به للتجار الانكليز بدخول الاراضي التركية حيث تأسست في سنة ١٥٨٣م شركة الشرق للمتاجرة مع تركيا من قبل بعض التجار الانكليز وظلت هذه الشركة قائمة حتى سنة ١٨٢٥م . وقد اوفدت هذه الشركة من قبلها بعثة اجتازت سورية والعراق والخليج العربي ووصلت الى جاوا . والمعروف ان رجال هذه البعثة هم اول الانكليز المغامرين ، بعد الرحالين طبعا ، الذين وطأت اقدامهم ارض العراق .

وفي تلك السنة ذاتها أي ١٥٨٣م بدأ اتصال بريطاني بالخليج العربي اذ قام اربعة من المغامرين الانكليز هم رالف فيج ، وجون نيوبرى ، ووليم ديدز ، وجمس ستورى برحلة من طرابلس في سوريا فانحدروا في نهر الفرات حتى مدينة الفلوجة ومنها انتقلوا الى بغداد فالبصرة ثم دخلوا الخليج العربي حتى وصلوا جزيرة هرمز وهناك القى القبض عليهم فنقلوا الى « غوا » في الهند حيث امضوا في الاسر فيها زمنا طويلا .

وبعد انتصار بريطانيا على اسبانيا في معركة الارمادا سنة ١٥٨٨م تعاظم اهتمامها بالشرق بعد انفتاح طريق رأس الرجاء الصالح امام سفنها . ولذلك سارع بعض التجار الانكليز الى تأسيس شركة الهند الشرقية الانكليزية في الحادي والثلاثين من كانون الاول سنة ١٦٠٠م برأسمال قدره ٦٨٨٧٣ باون وجعلوا مركزها في مدينة « سورات » بالهند ومن هناك بدأ الاخطبوط الانكليزي يمد اصابعه الى الخليج العربي وايران والعراق وتركيا .

كانت جزيرة هرمز اولى النقاط التي وجه الانكليز انظارهم اليها في الخليج العربي ولذلك استعانوا بالعرب وبالفرس على محاربة البرتغاليين

واخراجهم من الجزيرة سنة ١٦٠٤م لكنهم ما لبثوا ان سلموها الى الفرس ، واتخذوا ميناء « جسك » على الساحل الشرقي من الخليج مقرا لهم بدلا من جزيرة هرمز ذاتها . وقد ازدهرت تجارتهم في هذا الميناء بفضل الاتفاق الذى عقدوه مع شاه ايران . وما حلت سنة ١٦١٥م حتى انشأ الانكليز لهم أول فرع لشركة الهند في ايران اتخذ « شيراز » مقرا له . ثم نقلوا مقرهم من جسك الى بندر عباس ومنه الى ابى شهر ومن هناك امتد نفوذ الشركة الى العراق اذ انشأت في سنة ١٦٤٠م مصنعا لها في البصرة وقد اشار الى هذا المصنع المستر جاكسون احد موظفي الشركة في الهند اثناء مروره بالعراق سنة ١٧٩٧م كما ذكره الرحالة تيبور ايضا .

والى جانب الوكالة التجارية في ابي شهر انشأ الانكليز لهم وكالة سياسية ايضا سنة ١٧٦٣م وقد تحولت هذه الوكالة فيما بعد الى دار للاعتماد ظلت قائمة في ابي شهر حتى سنة ١٩٤٦ حيث تم نقلها من هناك الى البحرين .

كان السر انطوني شيرلى من اقوى المغامرين الانكليز الذى استطاع ان يوطد النفوذ الانكليزي في ايران وفي الخليج العربي فقد اتصل هذا المبعوث ببلاط شاه ايران عباس الاول الذى تولى العرش في ١٥٨٧م وحاول اقناعه بفكرة التحالف مع بريطانيا ضد التوسع التركي .

واستطاع شيرلى بدهائه ان يجتذب قلب الشاه عباس اليه ويحمله على طرد السفير التركي من ايران وان يعلن بان ابواب ايران مفتوحة بوجه التجار الاوربيين وبذلك وضعت اولى اسس الامتيازات الاجنبية التي راحت ايران ضحيتها طيلة اكثر من اربعة قرون متوالية .

وعندما توفى انطوني شيرلى خلفه لدى الشاه عباس اخوه روبرت شيرلى الذى كان يقود جيش الشاهِ عباس واشترك في جميع الحملات التي شنها الفرس ضد الاتراك ما بين سنتي ١٦٠٢ و١٦٢٧م .

وكان روبرت هذا قد عاد الى بريطانيا سنة ١٦١١م وقابل الملك جمس وسلمه رسائل الشاه عباس التي فتحت صفحة العلاقات بين بريطانيا وايران .

وكان توماس الدورث اول وكيل لشركة الهند الانكليزية في الخليج العربي واليه يرجع الفضل في توسيع التجارة الانكليزية في كل من ايران والبحرين كما انه استطاع في سنة ١٦١٦م ان يحصل على امتياز من الشاه

عباس يسمح للانكليز بحرية التجارة في جميع انحاء ايران •

وكان المستر وليم كانوك هو الذى انشأ فرع الشركة في شيراز سنة ١٦١٥م كما استطاع كانوك نفسه ان يحصل في سنة ١٦١٧م على اذن من الشاه عباس بالتبادل الدبلوماسى بين بريطانيا وايران ، وان يتعهد الشاه بحماية القوافل التجارية الانكليزية ، واعفاء الرعايا الانكليز من ان يحاكموا امام المحاكم الايرانية ، وان يسمح لهم بحمل السلاح •

لقد تطورت فعاليات شركة الهند الشرقية الانكليزية فلم تعد تتعامل بتجارة التوابل والاصباغ والشاي كما كان امرها يوم انشائها بل اخذت تستخدم السفن وتسلحها للقتال وتؤسس الجيوش للحروب • وقد تعاظم امرها بعد ان سيطرت على الهند فلم يعد احد داخل بريطانيا ولا خارجها يستطيع ان يتحدى اوامر هذه الشركة التي اخذت تتحكم حتى بمصائر بريطانيا ذاتها •

وعندما اصطدم الانكليز بالبرتغاليين لاول مرة في الخليج العربي وذلك في اول موقعة حدثت بينهم قرب ميناء جسك التي انتصر فيها الانكليز ، اخذ الشاه عباس الاول يستعين بشركة الهند الانكليزية لمهاجمة البرتغاليين في جزيرة هرمز •

وقد ترددت الشركة باديء ذي بدء لكنها ما فتئت ان وافقت على منازلة البرتغاليين اذا ما وافق الشاه على الشروط التالية :

١ ـ تقسيم الغنائم بالتساوي بين الشركة والشاه •

٢ ـ تقسيم اسرى الحرب حسب الاديان أي ان يسلم المسيحيون للانكليز والمسلمون للفرس •

٣ ـ تسليم القلعة البرتغالية في هرمز بما فيها من اسلحة وذخيرة الى الانكليز على ان يسمح للفرس باقامة قلعة لهم في الجزيرة •

٤ ـ تقسيم عوائد الكمارك والمكوس في الجزيرة مناصفة بين الانكليز والفرس •

٥ ـ اعفاء التجارة الانكليزية في هرمز من الضرائب •

وعلى هذا الاساس حاصر الاسطول الانكليزى الجزيرة مما اضطر قائد الحملة البرتغالية فيها الى الاستسلام للانكليز في الثاني والعشرين من كانون الثاني سنة ١٦٢٢م •

وقد احتجت اسبانيا التي كانت قد ضمت البرتغال اليها على هذه

الاعمال التي قامت بها شركة الهند الانكليزية لكن الشركة سارعت في تقديم رشوة الى جمس الاول ملك بريطانيا قيمتها عشرة الاف باون استرليني كما قدمت مبلغا مماثلا الى دوق بكنغهام قائد البحرية الانكليزية • هذا مع العلم ان حصة الشركة من الغنائم البرتغالية في تلك المغامرة لم تزد على خمسة وعشرين الف باون •

وبمساندة من الانكليز اخذت جيوش الشاه عباس الاول تجلو الاتراك عن كثير من اراضى ايران بل ان الجيوش الايرانية استولت على بغداد نفسها سنة ١٦٣٣م واعقب ذلك احتلالها لاجزاء واسعة من العراق سنة ١٦٣٨م لكن الفرس مع ذلك اخفقوا في الاستيلاء على البصرة نظرا للمقاومة المشرفة التي ابداها الوالي العثماني ومساندة البرتغاليين له في ذلك • وقد استعاد الاتراك بغداد سنة ١٦٣٨م واجبروا الفرس على توقيع معاهدة ١٦٣٩م التي خططت الحدود بين تركيا وايران •

وكان الانكليز منذ اتفاقهم مع الشاه عباس سنة ١٦٢٢م قد وضعوا بارجتين حربيتين كانت تجوب مياه الخليج العربي باستمرار تأكيدا للنفوذ الانكليزي فيه • وحين مات الشاه عباس الاول سنة ١٦٢٩م فقد الانكليز بموته عضدا قويا لهم فاستغل الهولنديون ذلك الوضع وقدموا رشاوى كبيرة الى الحكومة الايرانية ، واخذوا يضايقون الانكليز في ايران حتى اضطروهم الى ان ينقلوا وكالتهم من بندر عباس الى البصرة سنة ١٦٣٩م •

وتعقب الهولنديون الانكليز الى البصرة ذاتها فبعثوا اليها بثماني سفن تحمل الكثير من البضائع • وقد افرغت هذه السفن الهولندية حمولتها في البصرة في منطقة « مناوي الباشا » فاغرقت بها الاسواق وكادت تقضي على التجارة الانكليزية هناك • وكان هذا التنافس من الاسباب الرئيسة التي أدت الى وقوع المزيد من الحروب بين هولندا وانكلترا في السنوات ١٦٥٢ — ١٦٦٧م • وقد انتهت هذه الحروب بالمصالحة بين الدولتين وتحالفهما للوقوف بوجه فرنسا ومطامع لويس الرابع عشر التي حطمت النفوذ الهولندي في الخليج حيث انسحب الهولنديون من البصرة سنة ١٧٥٣م ومن بندر عباس سنة ١٧٥٩م وبذلك صفا الجو لبريطانيا في الخليج كله •

بدأت فرنسا تنازل بريطانيا في الهند وفي ايران • ففي سنة ١٦٢٦م بعث الوزير ريشيليو ممثلا عنه الى بلاط شاه ايران • واعقب ذلك ارسال وفد فرنسى الى الشاه عباس الثاني استحصل منه على اذن باعفاء السلع

الفرنسية من الرسوم ، وتمتع فرنسا بذات الحقوق والامتيازات الممنوحة الى الدول الاوربية الاخرى . وعلى اثر ذلك انشأ الفرنسيون لهم مركزين تجاريين في ايران احدهما في اصفهان والثاني في بندر عباس وقد تخلى الفرنسيون سنة ١٧١٢م عن مركزهم في إصفهان .

وعندما وقعت حرب السبع سنوات بين بريطانيا وفرنسا بعث الفرنسيون الى الخليج العربي باربع سفن كانت تحمل العلم الهولندي ويقودها الاميرال [ديتانغ] فهاجمت تلك السفن مقر الوكالة التجارية الانكليزية في بندر عباس ودمرته .

كذلك انشأ الفرنسيون لهم في سنة ١٧٥٥م وكالة تجارية في البصرة تحولت سنة ١٧٦٥م الى قنصلية عامة . كما اسس الفرنسيون لهم في البصرة معملا تحدث عنه نيبور في رحلته الشهيرة .

وقد اشتدت الحرب بين فرنسا وانكلترا في الخليج العربي بعد حملة نابليون على مصر ومحاولته الوصول الى الهند .

اما الانكليز فقد بدأ اتصالهم بالعراق والوصول الى البصرة بصفة خاصة في الفترة ما بين ١٦٣٥ـ١٦٣٩م . فقد استغلوا فرصة طردالبرتغاليين من البصرة فانشأوا لهم فيها مركزا تجاريا سنة ١٦٤٣م كما نقلوا مركزهم في بندر عباس اليها في سنة ١٦٤٥م .

وحين زار الوالي العثماني على العراق ، علي باشا ، مدينة البصرة سنة ١٧٦٣م شكا اليه وكيل شركة الهند الانكليزية مما تلاقيه الشركة من متاعب على يد قبائل كعب التي كانت تهيمن على مداخل الخليج العربي وشط العرب وحتى البصرة .

وقد اغرت الشركة علي باشا بالرشاوى فاندفع هذا يدافع عن مصالحها وقد اعد قوات نقلتها سفن الشركة ذاتها فهاجمت تلك القوات بني كعب وانتصرت عليهم واسرت عددا منهم .

وحين وصلت هذه الانباء الى حكومة بومباي بعثت هذه باسطول مؤلف من ست سفن توجهت سنة ١٧٦٦م لتأديب قبائل بني كعب . وارسل والي بغداد عمر باشا هو الاخر قوة كان يقودها وكيله محمود اغا وحاول الانضمام الى قوات الشركة لكن العرب استطاعوا ان يصمدوا امام القوة التي هاجمتهم برا ، وان يحرقوا سفينتين انكليزيتين وتسعا من السفن التركية ، وان يحققوا لهم نصرا مؤزرا ضد الانكليز والاتراك معا .

ومنذ ذلك الوقت توثقت العلاقات بين ولاة العراق من الاتراك وشركة الهند الانكليزية التي كانت تدفع الرشاوى الكثيرة الى الولاة الذين يخدمون مصالحها ، وتعضد مطاليبهم لدى الباب العالي ، وتتستر على سرقاتهم وفضائحهم ، من امثال سليمان باشا الكبير والي بغداد الذي ساعدته الشركة في الحصول على الولايات الثلاث • وكانت الشركة بالاضافة الى ذلك تقرضه ما يحتاج اليه من اموال وتتولى حتى عملية تحويل المبالغ التي يرسلها الى حكومة الاستانة ، وتستورد له الاسلحة والمعدات ، وتستقدم له الخبراء العسكريين والمدربين •

وبينما كان الولاة الاتراك في العراق في هذا الوقت يتعاونون مع الانكليز ويحالفونهم كان العرب في جميع مناطق الخليج يهاجمون السفن الانكليزية والهولندية والايرانية سوية • بل ان العرب اخذوا في تلك الفترة يهاجمون سواحل اقليم مدراس الهندي نفسه •

* * *

كان نابليون بونابرت اخطر منافس ارتطمت به بريطانيا سواء في اوربا ام في الشرق فقد هاجم نابليون مصر واحتلها ليقطع خط الرجعة على بريطانيا في الشرق ، ولينتزع الهند ، درة الامبراطورية البريطانية الثمينة، من يدها •

وحينما احتل نابليون مصر كلها في اوائل سنة ١٧٩٩م اخذ من هناك يبعث برسله ورسائل الى بعض امراء العرب في الخليج العربي وبعض رؤساء الهنود • ومن تلك الرسائل رسالتاه الشهيرتان الى امام مسقط والى احد امراء الهنود الناقمين على الاحتلال الانكليزي للهند وهذا نصهما :

القاهرة في ٢٥ كانون الثاني سنة ١٧٩٩•

الى امام مسقط

اكتب اليك لاعلمك بوصول الجيش الفرنسى الى مصر • وبما انك كنت على الدوام حافظا لولائنا فكن واثقا من رغبتنا في حماية السفن التي ترسلها الى السويس • الرجاء ايصال الكتاب المرسل طي كتابك هذا الى « تيبو صاحب » في اول فرصة •

الامضاء بونابرت

الى تيبو صاحب

لابد وقد بلغك نبأ وصولي الى سواحل البحر الاحمر على رأس جيش جرار لا يغلب • أود ان اسمع أخبار الوضع السياسي الذي أنت فيه ،وارغب في ان ترسل الى السويس رجالا ذوي جدارة تثق بهم للمداولة معهم •

الامضاء : بونابرت

وفي الوقت ذاته دخل نابليون في مفاوضات مع بولس الاول قيصر روسيا فاتفقا في سنة ١٨٠٠م على ان يسير كل منهما بجيوشه الى « باكو » ومن هناك تعبر جيوشهما مشتركا بحر قزوين الى استراباد ومشهد ثم هرات لكن هذه الخطة لم يكتب لها التنفيذ بسبب اغتيال قيصر روسيا واضطرار نابليون الى العودة الى فرنسا •

واعد نابليون خطة اخرى في الوصول الى الشرق وذلك بالاتصال بالناقمين على الانكليز من امراء الهند ، وسلوك طريق الفرات الى العراق والانحدار نحو البصرة وتحصينها ، واتخاذها مقرا لجيوشه ولتدابيره السياسية والعسكرية • ولتنفيذ هذه الخطة قام بمفاوضة الاتراك وشاه ايران ايضا •

وظل شاه ايران مترددا ، بين الاتفاق مع فرنسا ضد روسيا وبين الاتفاق مع بريطانيا ضد فرنسا •

وحين نشبت الحرب بين ايران وروسيا سنة ١٨٠٤م وافق الشاه على الاتفاق مع فرنسا لقاء تعهد منها بان تساعده على استعادة « جيورجيا » من روسيا ، وان تمده بالمؤن والمعدات •

وفي سنة ١٨٠٧م بعث شاه ايران بالمرزا رضا ممثلا عنه الى فرنسا ليوقع على معاهدة « فنكنشتاين » التي وافق فيها الشاه على ان يضم قواته الى القوات الفرنسية لافتتاح الهند •

وعلى اثر توقيع هذه المعاهدة وصلت ايران بعثة فرنسية عسكرية مؤلفة من سبعين ضابطا يقودها الجنرال « غاردان » لتدريب الجيش الايراني على الاساليب الحربية الاوربية وذلك استعدادا للحملة التي كان نابليون يعدها للهجوم على الهند •

واتصلت فرنسا في ذات الوقت بسلطان مسقط لحمله على الاتفاق معها لكن السلطان حصر نطاق البحث مع الممثل الفرنسى على الشؤون

التجارية خوفا من الانكليز الذين سبق له ان تعهد لهم بعدم الاتفاق مع الفرنسيين •

وبعد التوقيع على معاهدة « تلست » سنة ١٨٠٧م بين فرنسا وروسيا غير نابليون خطته السابقة ، وقرر ارسال جيش فرنسي عبر النمسا والدانوب فالبحر الاسود ، بينما يتجمع الجيش الروسي في استراخان ويسير منها عبر قزوين الى استراباد ليلحق به الجيش الفرنسي هناك ، ثم يسير الجيشان سوية الى مشهد وهرات وغزنة وقندهار حتى يبلغا السند •

لكن خطط نابليون هذه تبددت ادراج الرياح بعد ان هوى نجمه واعتقل في جزيرة سنت هيلانة • وقد استفادت بريطانيا من خططه تلك فسيطرت على الطرق الرئيسة الثلاث التي ترابطها بالهند ، وهي طريق البحر الاحمر، وطريق هرات في افغانستان ، وطريق الفرات فالخليج العربي • فقد احتلت جزيرة « بريم » في مضيق عدن ثم انتقلت منها الى عدن ذاتها • اذ كانت عدن تعتبر المفتاح الجنوبي للبحرالاحمر ويمكن السيطرة منها على مداخل الخليج العربي من الجنوب ، والمحيط الهندي ، وزنجبار وشرقي افريقيا في وقت واحد •

واذ ادركت بريطانيا هذه الاهمية التي تتمتع بها عدن في تنفيذ مخططاتها الاستعمارية حاولت في سنة ١٨٣٣م ان تشتري لها مقرا في عدن من سلطان تركيا لكن المفاوضات مع الباب العالي في هذا الشأن قد توقفت واخيرا استولت بريطانيا على عدن بالقوة في السادس عشر من كانون الثاني سنة ١٨٣٩م ثم امتدت سيطرتها الى المكلا والشحر كما اعادت احتلال جزيرة بريم وجزيرة سقطرة للمرة الثانية واخضعتهما لحمايتها نهائيا في سنة ١٨٨٦م •

وكانت مسقط من الموانىء الهامة الاخرى في الخليج العربي التي وجهت بريطانيا انظارها اليها منذ زمن طويل ، ذلك لان استيلاء اية دولة اخرى على مسقط يمثل تهديدا مباشرا للهند نظرا لقصر المسافة بين مسقط وكل من بومباي وكراجي وجسك وغيرها • ولذلك بدأت بريطانيا تمهد لاحتلال مسقط عن طريق عقد المعاهدات والاتفاقات مع أمام مسقط • وكانت اولى تلك المعاهدات هي المعاهدة الموقعة في الثاني عشر من تشرين اول سنة ١٧٩٨م بين سلطان بن سعيد امام مسقط وعمان وبين المرزا مهدي عليخان بهادور ممثل شركة الهند البريطانية • وقد نصت هذه المعاهدة على منع

الفرنسيين والهولنديين من اقامة اي مركز لهم في مسقط ، وعدم السماح للسفن الفرنسية بالدخول الى الموانيء المسقطية ، وان يستعين امام مسقط بمشورة موظف بريطاني يقيم في مدينة مسقط ذاتها • لكن الفرنسيين مع ذلك حاولوا الاتصال بسلطان مسقط واجتذابه الى جانبهم • وما ان علمت بريطانيا بذلك حتى اوفدت ـ عن طريق حكومة الهند ـ الكابتن مالكولم الذي اجتمع مع سلطان مسقط ، في جزيرة هرمز في اوائل سنة ١٨٠٠م وهدده بغلق موانيء الهند والخليج بوجه السفن المسقطية ، واذ ذاك اضطر السلطان الى توقيع اتفاقية جديدة مع الانكليز في الثامن عشر من كانون الثاني سنة ١٨٠٠م تمنحهم حق تأسيس وكالة سياسية لهم في مسقط • وامعن سلطان مسقط في الخنوع لتهديدات الانكليز ففتح البلاد لهم الى درجة ان الجيش المسقطي كان يتألف في الدرجة الاولى من جنود انكليز واخرين من الهنود والفرس • وكان قائد هذا الجيش انكليزيا بل ان وزيري المالية والخارجية في حكومة امام مسقط كانا من الموظفين الانكليز أيضا •

★ ★ ★

كان الوضع في الخليج العربي في اواخر القرن الثامن عشر على اسوأ ما يكون بالنسبة الى العرب والسيادة العربية فيه • وسبب ذلك يعود الى ان المشيخات والامارات العربية التي ظهرت في الخليج منذ اوائل ذلك القرن كانت متنافرة متناحرة فيما بينها تكيد الواحدة منها للاخرى وتتحالف حتى مع الاعداء ضدها • فقد رأينا كيف تحالف بعض العرب مع البرتغاليين ضد اخوانهم العرب • كما حالف غيرهم الفرس والانكليز والفرنسيين والهولنديين • ولم تستطع هذه الامارات والمشيخات العربية ان تتوحد في دولة واحدة لاسباب عدة منها :

١ ـ وجود التنافس المستمر بين هذه الامارات واغارة الواحدة منها على الاخرى •

٢ ـ لم تكن تشكيلات القوى لهذه الامارات تعتمد على القوة البحرية وحدها بل كانت لديها قوى برية ايضا ، وهذا الوضع قد خلق لها الكثير من المشاكل سيما وان السفن العربية لم تكن مجهزة بالمدافع كما هو شأن السفن الاوروبية •

٣ ـ عدم ظهور امارة قوية تستطيع ان تفرض سلطانها على الامارات الاخرى وتوحدها في دولة واحدة •

كانت الحركة الوهابية التي اسسها محمد بن عبدالوهاب قاضى المدينة المنورة والمولود سنة ١٧٠٢م قد اخذت تظهر بمظهر القوة الجارفة التي بدأت بالدعوة الى الاصلاح اول الامر ثم انتهت باستعمال السلاح لفرض هذه الدعوة بالقوة على الآخرين ٠

وقد تحالف محمد بن عبدالوهاب سنة ١٧٤٥م مع محمد بن سعود امير الدرعية لافتتاح جزيرة العرب ٠ ولم تأت سنة ١٨٠٥م حتى كانت شبه جزيرة العرب وجزءا كبيرا من اليمن وعمان تخضع لحكم آل سعود ٠

وفي الوقت الذي كان فيه السعوديون يوسعون نطاق مملكتهم ويتجهون نحو سواحل الخليج العربي كانت هناك قبيلة اخرى من القبائل العربية هي قبيلة « القواسم » العراقية الاصل قد شرعت تتحفز للانقضاض على الغزاة الاجانب من انكليز وهولنديين وغيرهم في ساحل مسقط وعمان ٠

وكانت قبيلة القواسم هذه تسكن ساحل عمان وتواصل غاراتها على جميع السفن الاجنبية وتسلبها ما تحمله من اموال ٠ وقد امتد نفوذها الى مناطق واسعة من الخليج العربي فكانت لها مراكز في الخرج ولنجه و « لافت » ٠ كما انها تحكمت بمدخل الخليج ومراكز التجارة فيه ، ودخلت في صراع مرير مع سلطان مسقط وعمان ٠

والمتفق عليه ان المنزل الاول للقواسم ــ وهم قبيلة عربية نزحت من سامراء بالعراق الى جزيرة العرب ــ كان في جلفار ، الا ان شيخهم رحمة بن مطر بنى له خيمة في مكان مرتفع على الساحل ٠ وكان يضع في تلك الخيمة ضوءا يراه البحارة من بعيد فسمي ذلك المكان باسم رأس الخيمة ٠

وقد ظل القواسم زمنا طويلا يتجنبون التعرض للسفن الانكليزية التي كانت تسيرها شركة الهند البريطانية لكنهم هاجموا هذه السفن لاول مرة سنة ١٧٩٧م ولكي لايغضبوا بريطانيا قدموا الى وكيل الشركة في البصرة اعتذارا عن الحادث الذي وقع منهم ٠

وبعد ان اعتنق القواسم المذهب الوهابي وتحالفوا مع السعوديين وجدوا ان قوتهم قد تضاعفت ولذلك شرعوا بمهاجمة السفن الانكليزية الى جانب السفن الاجنبية الاخرى ومن هنا ازدادت عظمة القواسم وذاع صيت زعيمهم سلطان بن صقر الاول الذي حمل لقب امام الغافرية واتخذ «الشارقة» عاصمة له ، واحتل جزيرة قشم وميناء لنجه ، ودخل في حروب مستعرة مع الانكليز ولاسيما سنة ١٨٠٣م ٠

كان من امر استفحال القواسم ان كتب المستر مانستي وكيل شركة الهند الانكليزية في البصرة الى حكومة الهند يعلمها ان خطر العرب في الخليج اصبح اشد واقوى عليها من خطر الفرنسيين • وطبقا لذلك جردت بريطانيا اول حملة عسكرية كبيرة لها ضد القواسم في اوائل سنة ١٨٠٥م واستعانت بريطانيا في ذلك ، كالعادة ، بالخونة والعملاء من الحكام العرب ، وكان منهم حينذاك بدر بن سيف امام عمان ، وسعيد بن سلطان حاكم مسقط •

ومما تجدر الاشارة اليه في هذا المضمار ان سلاطين عمان كانوا من الاصل متحالفين مع الانكليز ضد القواسم ، وان سيف والد بدر كان قد قتل في احدى الغارات التي قام بها ضد القواسم •

كانت جزر الخرج وقشم وهرمز وغيرها تخضع لنفوذ القواسم وقد تزعم المندوب البريطاني « سيتون » الحملة الانكليزية ضد القواسم فحاصر هذه الجزر ثم توصل في شباط سنة ١٨٠٦م الى توقيع الهدنة معهم •

ولم يشأ القواسم ان يرضوا بتلك الهدنة فما لبثوا في سنة ١٨٠٨م ان اغاروا من جديد على السفن الانكليزية وطلبوا الى حكومة الهند ان تدفع الضرائب الى حكومة رأس الخيمة مقابل السماح لها بحرية التجارة في الخليج • وقد استولى القواسم على احد الطرادين اللذين كانا يحرسان بعثة الكابتن مالكولم الى ايران •

وبتحريض من المندوب سيتون نفسه جردت بريطانيا في ايلول سنة ١٨٠٩م حملة جديدة على القواسم كان يقودها الجنرال « ونرايت » • وقد صدرت الاوامر الى هذه الحملة بان تنفذ ما يلي :

١ ـ تدمير مراكز القواسم واعادتها الى سلطان مسقط سعيد بن سلطان ، وتجنب التصادم مع الوهابيين •

٢ ـ التعاون مع الحكومة الايرانية والاعتراف بسيادتها على الساحل الشرقي من الخليج وذلك لضمان طرد القواسم من الخرج ولنجة ولافت وغيرها

٣ ـ البحث عن انسب جزيرة في الخليج لاقامة قاعدة عسكرية بريطانية فيها •

خرجت هذه الحملة من بومباي في اواخر تشرين الاول سنة ١٨٠٩م وهي تتألف من ثلاث سفن حربية وثلاث سفن اخرى لحمل المعدات • وبعد

اذ توقفت قليلا في مسقط اخذت تطوف سواحل الخليج دون ان تغامر بانزال احد من جنودها مخافة الاشتباك مع القبائل العربية لاسيما الوهابيين • كما انها لم تهاجم حصون القواسم في ساحل عمان وقد عادت ادراجها الى بومباي في كانون الثاني سنة ١٨١٠م •

اثار تصرف قائد الحملة البريطانية غضب سعيد بن سلطان حاكم مسقط الذي كان يتوقع ان تتدخل بريطانيا تدخلا فعليا لمصلحته ضد القواسم ، وهو الذي ظل يستنجد بحكومة الهند سنوات عديدة ضدهم •

ولقد هادن القواسم انكلترا فعلا بعد تلك الحملة ، فاوقفوا تعرضهم للسفن الانكليزية في الخليج ، وتجنبوا الاصطدام بها • لكن هذه الهدنة الطوعية التي فرضها القواسم على انفسهم تجاه بريطانيا انتهت في سنة ١٨١٢م عندما شرعوا بمهاجمة السفن الانكليزية وحتى سفن الامارات العربية المتحالفة مع الانكليز او الفرس • ولم يكتف القواسم بذلك وحده بل اخذوا يطالبون شركة الهند الانكليزية بان تدفع لهم الضرائب لقاء مرور تجارتها في الخليج • وقد وجدت حكومة الهند نفسها مضطرة الى قبول مطاليبهم وهكذا عاد السلام الى الخليج ثانية حتى سنة ١٨١٤م حيث تجددت المصادمات معهم مرة اخرى الامر الذى دفع ببريطانيا الى ان تدخل معهم خلال سنتى ١٨١٥ـ١٨١٦ في مفاوضات معقدة قام بها المستر بروس ممثل شركة الهند الانكليزية في « أبي شهر » • لكن القواسم تصلبوا في مواقفهم ولم يقبلوا بأي من المطاليب البريطانية •

عندئذ اخذت فكرة استعمال القوة ضد القواسم تجد لها انصارا عديدين حتى داخل بريطانيا ذاتها • وقد كان المستر ديلوك القائم بالاعمال البريطاني في طهران على رأس القائلين باستعمال القوة لتحصل بريطانيا على نفوذ لها جنوبي ايران مثلما فعلت روسيا فانتزعت من ايران عدة مناطق في الشمال بمقتضى معاهدة غولستان سنة ١٨١٣م •

وبعد مداولات بين حكومات بومباى وكلكتا ولندن ، استقر الرأي في نيسان سنة ١٨١٩ على مايلى :ـ

١ ـ احترام الاوضاع السائدة في الخليج العربي فلا تتدخل بريطانيا لمساندة اى من الرؤساء العرب الا اذا طلب اليها ذلك ، والا اذا كان مثل هذا الطلب مشروعا ؟ • وعلى هذا الاساس لم توافق بريطانيا على تسليم جزر البحرين الى حاكم مسقط •

٢ ـ ينبغي لحكومة الهند ان لاتشجع الاتراك على بسط نفوذهم في الخليج بعد ان استولى ابراهيم باشا بن محمدعلي باشا الكبير على نجد والمناطق التي يحتلها الوهابيون •

٣ ـ ضمان حرية الملاحة في الخليج ، والاتفاق مع القبائل العربية على تفتيش السفن فيه ، واختيار رأس الخيمة لاقامة قاعدة بريطانية فيها بدلا من جزيرة قشم •

وتنفيذا لهذه القرارات خرجت حملة بريطانية جديدة من بومباى في الثالث من تشرين الثاني ١٨١٩ تتألف من ست سفن حربية وعدد آخر من السفن الصغيرة عليها ثلاثة الاف بحار •

كان الجنرال وليام غرانت كيير هو قائد تلك الحملة التي وصلت الى رأس الخيمة في اوائل كانون الاول من تلك السنة • ورغم التفاوت الواسع في القوة بين الانكليز الغزاة والعرب المدافعين فقد اظهر القوسم بسالة نادرة في الدفاع عن رأس الخيمة التي حاصرها الغزاة وظلوا يمطروها بقنابل مدافعهم ستة ايام متوالية •

لم تنسحب قوات هذه الحملة بعد ان دمرت الموانيء العربية في تلك الاصقاع ، بل انها انزلت رجالها على الشاطىء واقامت لها حاميات كان معظمها في رأس النجمة • وشرع الاسطول البريطاني يقوم بعملية مسح وتمشيط للقسم الجنوبي من الخليج العربي بحثا عن الفدائيين العرب المختبئين في ثغوره وشطئانه •

احدثت هذه الحملة البريطانية تطورا هائلا ليس في وضع الخليج العربي وحده حسب بل وفي الشرقين الادنى والاوسط معا ذلك انها مهدت لبريطانيا عقد معاهدات مع رؤساء الامارات العربية على سواحل الخليج حققت لها بسط سيادتها على اولئك الرؤساء والمناطق التي كانوا يحكمونها(١) •

كان من بين تلك المعاهدات المعاهدة التي وقعها الجنرال كيير مع الشيخ صالح بن صقر رئيس القواسم التي تضمنت الشروط التالية :

١ ـ يتعهد شيخ القواسم بتسليم السفن الحربية الموجودة في رأس الخيمة ، والشارقة ، وابي ظبي ، ولا يحق له سوى الاحتفاظ بمراكب

---

(١) راجع ملحق المعاهدات والاتفاقات في آخر الكتاب

المؤلف

الصيد •

٢ ـ يتعهد الانكليز بعدم الدخول الى الاحياء العربية بقصد تدميرها •

٣ ـ يعيد العرب ما لديهم من اسرى الانكليز •

٤ ـ يوافق القواسم بعد تنفيذ هذه الشروط ، على توقيع معاهدة شاملة مع بريطانيا •

وقد وقعت هذه المعاهدة فعلا في الفترة ما بين السادس والحادي والعشرين من كانون الثاني سنة ١٨٢٠م •

كتب الكابتن جون مالكولم في مذكراته عن القواسم يقول « انهم ينتسبون الى الطائفة الوهابية • ليحمنا الله منهم !! انهم مخيفون مهنتهم الحرب ولذتهم القتل » •

ويقول جاك بيربي في كتابه « الخليج العربي » عنهم انهم من « معاقلهم التي لاتغلب في الشارقة ورأس الخيمة استطاع القواسم ان ينكدوا عيش البريطانيين طيلة قرن من الزمان ••• ولكثرة ما قاموا به من تخريب ارغموا البريطانيين على ان يوجهوا الى الخليج حملات اكبر فاكبر دون فائدة تذكر ••••

كان القواسم اثناء الهجوم يرقصون ويهزجون ويرددون اناشيد الموت• وهم يشهدون مختلف انواع الاسلحة ••• وكانوا يبعثون الرعب والهلع بشجاعتهم •• »

ولم يمتنع الانكليز انفسهم عن استعمال اقصى حدود القسوةوالوحشية مع القواسم وغيرهم من العرب الذين تصدوا لهم •

ففي حملتهم الاخيرة على القواسم هدم الانكليز مدينة رأس الخيمة بعد ان ظلوا يرمونها بالقنابل ستة ايام بلا انقطاع ثم حرقوا الاسطول القاسمي وفعلوا نفس الشيء بجميع المعاقل التي كان القواسم يحتفظون بها في الخليج •

وممن اشتهر في تلك الفترة من الفرسان العرب في مطاردة السفن الاجنبية واغتصابها المغامر رحمة بن جابر الذى اتخذ مقره في خور حسان والكويت • فقد ظل رحمة هذا يخيف الانكليز والفرنسيين في المنطقة العليا من الخليج مدة عشرين سنة كاملة •

قال عنه السر ارنولد ولسون حاكم العراق السياسى في بداية الاحتلال البريطاني للعراق بعد الحرب العالمية الاولى في كتابه « الخليج الفارسى »

« لن يكون البحث عن هذه الفترة تاما ما لم يشر الى البحار المغامر رحمة بن جابر الذى سكن جزيرة « القرين » في الكويت وبقى عشرين سنة بعد ١٨٠٠م يثير الرعب في تلك المياه وربما كان من انجح المغامرين الذين عرفتهم البحار.

وقال عنه الرحالة الانكليزي الشهير بكنغهام في كتابه « رحلات في آشور وميديا وفارس » ان « هذا المحارب البارع كان يعيش عيشة بسيطة. فهو لا يرتدي سوى اليسير من الثياب ولا يستطيع احد ممن لايعرفه ان يميزه عن بقية رفاقه اذا ما سار معهم . وقليلا ما كان يخلع قميصه ليغسله .. وهو رجل نحيل الجسم ،نحيف الاطراف ، تملأ بدنه آثار الجراح اما وجهه فقاس مخيف خال من الجمال يزيد في قبحه فقدانه احدى عينيه وكثرة الجروح في وجهه » .

وكان لرحمة بن جابر رجاله الاوفياء له التابعون لظله ، المنفذون لاوامره . وكان عددهم زهاء الفي رجل جلهم من الافريقيين . وقد شن آل خليفة عند عودتهم الى البحرين سنة ١٨١١ حملة ضد رحمة بن جابر في موقعة خكيكرة التي هلك فيها زهاء الف رجل .

في احدى الحملات الواسعة التي شنها الانكليز ضد رحمة ورجاله كان هذا المغامر قد وقع وسط دائرة مغلقة وما ان علم ان الدائرة ستدور عليه حتى اتجه بمركبه نحو سفينة القائد البريطاني ليرتطم بها وينسف المركب والسفينة ويهلك معظم من كان فيهما . وقد كان هو نفسه من بين الهلكى.

* * *

تركز الصراع الاستعماري الان في الخليج بين فرنسا وبريطانيا في مسقط واتخذ شكلا خطيرا راح ينذر الدولتين بوقوع حرب جديدة بينهما في مياه الخليج ذاته .

ولقد هدأ هذا الصراع بصفة ظاهرة بعد توصل الدولتين الى اصدارهما تصريح سنة ١٨٦٢م الذى تعهدتا فيه باحترام استقلال مسقط ، وتمتعهما بمركز متكافيء فيها ، وحماية سفنهما وتجارتهما التي تمر بذلك الميناء ومياهه . لكن كلا من الدولتين كانت تكيد للاخرى سرا وتحاول ان تشترى ذمم اكبر عدد من المتنفذين في مسقط فبينما كان الفرنسيون يمنحون بعض البحارة العرب اجازات بحمل العلم الفرنسى على سفنهم للتخلص من رقابة الانكليز واعمال التفتيش التي كانوا يقومون بها في الخليج ، كان الانكليز من الناحية الثانية يغدقون المساعدات المالية على سلطان مسقط لكي يظل اكثر

طوعا في ايديهم وليحرضوه ضد الفرنسيين والخارجين عليهم من العرب ايضا •

كان تركي بن سعيد الذي تولى سلطنة مسقط سنة ١٨٧١ في مقدمة الذين مهدوا لتغلغل النفوذ الانكليزي في مسقط • فقد استنجد هذا السلطان بالانكليز ضد القواسم وغيرهم من القبائل العربية المناهضة لحكمه وكانت الحكومة الانكليزية تدفع له منحة مالية قدرها اربعون الف كراون في السنة•

وحين توفي تركي خلفه ابنه فيصل سنة ١٨٨٨م لكن الحكومة البريطانية لم تعترف به الا في سنة ١٨٩٠م وبعد ان استسلم نهائيا لها في كل شأن من شؤون مسقط • ولقد ظهر لفيصل منازع قوى على العرش هو السيد عبدالعزيز وهو من نفس عائلة آل سعيد • لكن الانكليز خذلوا عبدالعزيز بعد اتفاقهم مع فيصل فارغموه على مغادرة مسقط الى الهند حيث بقي فيها لاجئا سياسيا حتى وفاته •

ولقد ثارت مخاوف بريطانيا عندما اقدمت فرنسا على تزويد سكان صور بالاعلام والوثائق الفرنسية التي يحملونها على سفنهم ، وحين عينت فرنسا لها نائب قنصل في مسقط • ولذلك صدرت الاوامر الى الاسطول الانكليزي بان يوقف حتى السفن الفرنسية اذا كان يشك بانها تحمل العبيد من افريقيا واحتج نائب القنصل الفرنسي في مسقط على هذا الاجراء لكن الحكومة البريطانية رفضت احتجاجه ذاك • وقد استطاع نائب القنصل الفرنسي في مسقط ويدعى (اوتافي) ان يؤثر على السلطان فيصل بن تركي ويقنعه بمنح ميناء « بندر جيزة » في مسقط ليكون مخزنا للوقود يتزود منه الاسطول الفرنسي ، وما ان علمت بريطانيا بذلك حتى ثارت ثائرتها فامطرت الحكومة الفرنسية بالاحتجاجات المتوالية والانذارات الشديدة • وقد ظل السلطان فيصل يتذبذب في مواقفه من الانكليز والفرنسيين ازاء هذه الحوادث واخيرا وجهت الحكومة البريطانية مذكرة الى السلطان فيصل بن تركي تطلب اليه القيام بالامور التالية :

١ ـ ان يقوم السلطان بطرد وزيره الشيخ عبدالعزيز الذي كان من المتحمسين لتحسين العلاقات مع فرنسا •

٢ ـ ان يقدم الى الانكليز تعويضات عن الخسائر التي تحملوها اثناء ثورة عمان ضده في سنة ١٨٩٥ •

٣ ـ ان يكف عن جباية الضرائب عن التجارة الانكليزية بما يزيد على

نسبة ثلاث في المائة ٠

٤ ـ ان يعلن لجميع سكان مسقط وممتلكاتها في الخليج العربي بانه قد الغى جميع الامتيازات التي منحها لفرنسا ومنها امتياز بندر جيزة ٠

وفي سنة ١٩٠٠م قدمت بريطانيا مذكرة جديدة الى سلطان مسقط تطالبه فيها بان يزود رعاياه بالاعلام والوثائق الرسمية بدلا من الوثائق الفرنسية ، وان يوزع الاعلام البريطانية على السفن المسقطية ، وان يعلن عدم اعترافه بأوراق التجنس الفرنسية ٠

ومن يومها اخذ الميزان يميل الى صالح بريطانيا في مسقط حتى تمت لها السيطرة التامة على تلك البلاد في اوائل هذا القرن ٠

الفصل السابع

روسيا وتركيا تصارعان بريطانيا في الخليج
بروز امارتي عربستان والمحمرة العربيتين

بالقضاء على ثورة القواسم ، وربطهم بمعاهدات تعسفية جائرة كتلك التى ربط بها حكام مسقط وعمان وهرمز والبحرين من قبل ، غدت بريطانيا في اوائل القرن التاسع عشر سيدة الخليج العربي بلا منازع ٠فلم يعد للفرنسيين فيه اثر يذكر ٠ كما ان الدولة العثمانية كانت حتى ذلك الوقت بعيدة عن الخليج ومشاكله رغم احتلالها مصر والعراق وبلاد الشام وجزءا كبيرا من أرض الجزيرة العربية نفسها ٠

وعن طريق تلك المعاهدات ووكلائها السياسيين والتجاريين الذين زرعتهم في كل جزء من أجزاء الخليج ، أصبحت بريطانيا تدير بنفسها تقريبا شؤون كل امارات الخليج واقاليمه ٠ وقد تحول اهتمامها من الحفاظ على طرق الهند الى المحافظة على الهند ذاتها ، ومنع اية دولة قوية من التطلع اليها ٠

وبلغ من تركز النفوذ الانكليزي في تلك الفترة ان الانكليز كانوا

يشعلون نيران الفتنة ـ وفقا لمصالحهم ـ بين الامراء والشيوخ من العرب ، او يتوسطون في المنازعات القبلية العربية والمنافسات الدامية بين المتصارعين على السلطة حتى بين الاخ وأخيه • فقد توسط اللورد كاننغ نائب الملك في الهند سنة ١٨٦١م بين ماجد وثويني ولدي سعيد بن سلطان حاكم مسقط بعد ان ثار الشقاق على الملك بينهما • وقد اسفرت وساطة كاننغ تلك عن استقلال ثويني في مسقط بينما استقل أخوه ماجد في زنجبار وممباسا ومدغشقر •

لكن بريطانيا هذه قبل ان تهنأ بانتصاراتها على العرب ، وربط حكامهم بتلك الاتفاقيات والمعاهدات الظالمة فوجئت بتجدد النشاط الفرنسي في الخليج العربي في الفترة ما بين ١٨٣٩م و ١٨٤٨م •

ففي سنة ١٨٣٩م نجحت فرنسا في اقناع شاه ايران بان يطلب بعثة عسكرية فرنسية تحل محل البعثة الانكليزية في تدريب الجيش الايراني• واستطاعت فرنسا ان تنجح سنة ١٨٤٤ في عقد معاهدة تجارية مع سلطان مسقط ، كما عقدت مثل هذه المعاهدة مع ايران سنة ١٨٥٥م •

وعندما وقعت بريطانيا وفرنسا سنة ١٨٦٢م تصريحهما الشهير باحترام استقلال سلطنتي مسقط وزنجبار ، تشجعت فرنسا فتقدمت في سنة ١٨٦٤م بطلب الى تركيا للحصول منها على امتياز بانشاء شركة ملاحة فرنسية في الانهار العراقية على غرار شركة دجلة الانكليزية للملاحة في العراق •

ولقد وجدت بريطانيا ان حمايتها للهند لا تتم الا بالسيطرة على ايران ومنع الدب الروسي من الوصول الى البحار الدافئة • فقد كانت بريطانيا تنظر بعين القلق الى تحركات روسيا نحو الشرق منذ عهد بطرس الاكبر الذى دون وصيته الشهيرة الى الذين يخلفونه في الحكم من بعده ، والتي قال فيها « تقدموا ما استطعتم نحو الاستانة والهند • ان من يحكمهما سيكون سيد العالم بلا منازع • ولتحقيق ذلك اشهروا الحروب المتواصلة على ايران ••••• واذا ما سرى الانحلال في ايران فتوغلوا فيها حتى تبلغوا سواحل الخليج •••••• ثم واصلوا السير الى الهند محط كنوز العالم »

وقد تضاعف قلق بريطانيا هذا بعد التحالف الذي جرى بين نابليون بونابرت وقيصر روسيا بولس ، ثم القيصر اسكندر الأول من بعده ، ضد

انكلترا ، وفي سبيل الاستيلاء على ايران والهند •

ولذلك شرعت بريطانيا تعمل جاهدة على ابعاد كل من فرنسا وروسيا عن ايران • فاستطاع مبعوثها جون مالكولم اقناع شاه ايران اعطاء تعهد بابعاد الفرنسيين عن بلاده وذلك سنة ١٨٠٠م كما ذكرناه في الفصل السابق • وفي سنة ١٨٠٨م عاود مالكولم الكرة لمفاوضة الشاه هذه المرة في ابعاد روسيا عن ايران • ولما لم ينجح في محاولته تلك خلفه في هذه المهمة السر هارفورد جونسن الذي أوضح للشاه ضرورة الاتفاق ضد روسيا ، واستعداد بريطانيا لقاء ذلك لان تدفع له مائة وسبعين ألف تومان ، أي حوالي ثمانية آلاف وخمسمائة دينار ، عن كل سنة تكون فيها ايران معادية لروسيا •

ولقد قبل الشاه بتلك الاتفاقية وعلى أثرها استبدل المدربين الفرنسيين في الجيش الايراني بآخرين من الانكليز • وجاء الكابتن جون مالكولم الى ايران مرة ثالثة في سنة ١٨١٠م فعقد معاهدة جديدة تعهد الشاه فيها بالغاء جميع الاتفاقات التي تضر بمصالح بريطانيا والتي سبق للشاه أن عقدها مع الدول الاخرى ، وان لايسمح بمرور أي جيش معاد لبريطانيا في الاراضي الايرانية ، وان يحمل أمراء خوارزم وسمرقند وبخاري على الامتناع عن السماح لأية جيوش تمر عبر بلادهم في طريقها الى الهند ، وان يكون لبريطانيا رأيها في مشاكل الحدود ما بين ايران وروسيا ، وان تتعاون بريطانيا وايران في رد أي اعتداء خارجي يقع ضدهما • وقد تعهدت بريطانيا مقابل ذلك أن تزيد مبلغ المنحة التي تقدمها للشاه الى مائتي ألف تومان (حوالي عشرة آلاف دينار) في السنة ، وان يشرف الممثل البريطاني على صرف هذه المنحة ، وان تقطع هذه المنحة اذا ما دخلت ايران في أيةحرب ضد بريطانيا •

اتجهت بريطانيا الآن اتجاها جديدا في الخليج • فحتى ذلك الوقت كانت الحكومة البريطانية تطلع على شؤون الخليج عن طريق حكومة الهند أو شركة الهند البريطانية بعبارة أصح • وكان ما تطلع عليه من هذه الشؤون ضئيلا • غير ان الحكومة البريطانية أخذت بعد سنة ١٨٠٠م تبسط تدخلها في كل صغيرة وكبيرة من أمور الهند والبلدان التي تقع في الطريق الى الهند • ولهذا شرعت تستبدل الوكالات التجارية في الخليج والعراق وايران بوكالات سياسية تحولت فيما بعد الى قنصليات ومفوضيات

فسفارات كما أخذت تمد هذه الوكالات السياسية بالمحنكين من الساسة ورجال الاستخبارات الذين يعرفون كيف يتوددون الى الحكام المحليين في تلك الأصقاع ويحيلونهم الى أدوات طيعة في أيديهم •

ففي العراق عينت بريطانيا لها مقيما سياسيا في بغداد بعد ان كان ممثل الشركة يقيم في البصرة عادة • ثم تحولت هذه المقيمية في سنة ١٨٠٢م الى قنصلية • وفي سنة ١٨٠٨م فين لهذا المنصب عالم الآثار والرحالة المشهور كلوديوس جمس ريج الذي جاب العراق واطلع على أحواله ، واستطاع ان يجتذب الكبار من الوجهاء والموظفين في بغداد اليه ، وان يجعل من داره منتدى لهم يستمع فيه الى شكاواهم ، ويتدخل لدى الوالي في سبيل مصالحهم •

وقد أغاظ النشاط الذي كان يقوم به ريج الوالي داود باشا فنشب الخلاف بينهما واذ ذاك عمد داود باشا الى الغاء ما كان الاوربيون يتمتعون به من امتيازات في العراق ، كما ضاعف الرسوم الكمركية على البضائع التي كانوا يرسلونها الى العراق ، وشرع يعرقل امور المستر ريج حتى انه لم يسمح له بمغادرة بغداد ذاتها الا بعد مراسلات مطولة جرت في هذا الشأن بين حكومتي لندن واسطنبول •

واستعاد الانكليز نفوذهم في العراق بعد عزل داود باشا وبسبب ضعف الولاة الذين جاؤوا من بعده ، وقبولهم الرشاوى والهبات الى درجة ان كثيرا من رؤساء العشائر العراقية ، ولا سيما في جنوبي العراق ، اخذوا يسعون لدى المقيم البريطاني في بغداد لحمله على مقاومة بعض الولاة والسعي لعزلهم من مناصبهم ، بل ان جواسيس الانكليز في تلك الفترة كانوا يوحون لرؤساء العشائر العراقية بان وضع بريطانيا في العراق سيتغير في المستقبل تغيرا أساسيا ، وان من مصلحة هؤلاء الرؤساء أن يوطدوا منذ الآن علاقاتهم بالانكليز • وكان من جراء ذلك ان اتسع نطاق النفوذ الانكليزي في العراق بحيث أصبح لبريطانيا قنصل ممتاز في بغداد وله معاونان في كل من البصرة والموصل •

في هذا الوقت بالذات بدأت بريطانيا تربط أجزاء القارة الهندية وايران والعراق والمناطق الرئيسية في الخليج العربي باسلاك البرق مع لندن رأسا • فأنشأت خطا يربط الهند ببغداد واسكدار في الاستانة ويتصل بخطوط القارة الاوربية • ومدت خطا آخر بين الهند وابي شهر وطهران

ويرتبط هذا الخط ببغداد عن طريق أصفهان ٠

- كذلك عمد الانكليز الى الاكثار من انشاء شركات الملاحة بين موانىء الخليج والهند وبين انكلترا والهند أيضا ، هذا بالاضافة الى ارسال البعثات المتعددة الى العراق وايران والافغان للتحري عن الاوضاع السياسية والاقتصادية فيها والكشف عن الطرق البرية الصالحة التي تربط البحرين الاحمر والابيض المتوسط بالهند ٠

على ان بريطانيا ما لبثت وهي في قمة نشاطها هذا ان اصطدمت بالدولة العثمانية التي أخذت الآن تدرك أهمية الخليج العربي في المحافظة على امبراطوريتها في بلاد العرب ولذلك شرعت الدولة العثمانية تسعى الى اقامة مراكز قوية لها على سواحل هذا الخليج ٠

وقد وجدت تركيا بغيتها في شخص الرجل المصلح المتحرر مدحت باشا الذي تولى ولاية العراق في الفترة ما بين ١٨٦٨م و ١٨٧٣م ٠

على الرغم من تشبع مدحت باشا بالافكار الحرة ، واعجابه بالحياة البرلمانية الانكليزية الا انه كان من ألد أعداء بريطانيا وسياستها في العراق والخليج العربي ٠ وقد استغل مدحت باشا النزاع الذي حدث بين الاخوين عبدالله وسعود والدي الامام فيصل زعيم الوهابيين فجهز سنة ١٨٦٩م حملة كبرى استهدفت الاستيلاء على الاحساء والقطيف ونجد والبحرين ومسقط وعمان وحضرموت ٠

وقد زحفت هذه الحملة تحت قيادة نفيس باشا من البصرة في أيار سنة ١٨٧١م فاستقرت في رأس تنورة مقابل البحرين ٠ فبعد ان تغلبت على المقاومة الطفيفة التي جابهتها في القطيف ودمام وتوجهت نحو الهفوف عاصمة الاحساء ٠

ولم تتعرض الحملة في زحفها الى المناطق التي تخص السلطات البريطانية مباشرة ٠ بل ان بريطانيا لم تعلم بهذه الحملة وباهدافها لو لم تتلق اشعارا بذلك من خديو مصر اسماعيل باشا وعندئذ أخذت تراقبها بيقظة واهتمام ٠

استطاع مدحت باشا ان يستميل سعود بن الامام فيصل للانضمام الى جانبه ٠ كما نجح نفيس باشا قائد الحملة هو الآخر في استمالة شيخ قطر اليه ٠ على ان السفير البريطاني في الاستانة « السر اليوت » ما لبث ان سارع الى الاستفسار من الباب العالى عن أهداف حملة مدحت باشا

واتجاهها فأكدت السلطات العثمانية ان غرض الحملة هو اعادة نفوذ السلطان على نجد • لكن بريطانيا لم تقتنع بهذا القول وطلبت الى الحكومة العثمانية ان توافق على وضع حدود بين نجد وبين الامارات العربية على الساحل •

على ان نقل مدحت باشا من ولاية العراق ، والذي نعتقد جازمين ان للانكليز اليد الطولى فيه ، قد أوقف الحملة عند الحدود التي بلغتها ، ووضع حدا لتطلع تركيا الى جزيرة العرب والخليج العربي • ومع ان الحملة لم تحقق كل أغراضها الا ان استيلاءها على الاحساء التي كانت تربط جميع الطرق الداخلية لشبه الجزيرة العربية بالخليج ، قد مكن تركيا من ان تمد نفوذها حتى الى حكام نجد ذاتها •

كان مشايخ البحرين ومسقط وقطر وهرمز وعمان وغيرها من مناطق الخليج الهامة ، مرتبطين آنذاك ببريطانيا عن طريق المعاهدات التي فرضتها عليهم بالرشوة والقوة معا • وقد خشي أولئك المشايخ أن يهاجم الاتراك اماراتهم أو مشيخاتهم ولذلك أخذوا يطالبون المقيم البريطاني في ابى شهر بان يحث حكومته على كبح جماح الدولة العثمانية في تلك الانحاء •

ومع كل ذلك فان الاحساء قد ضمت بعد تلك الحملة الى العراق • ولم يكن هذا الضم بالامر المستغرب قط • فقبل حملة مدحت باشا باكثر من مائة سنة كانت الاحساء قد ضمت الى العراق • ففي سنة ١٦٦٣م بعث حسن باشا والي البصرة بفرقة من بني خالد يقودهم الامير براك بن محسن الى الاحساء فانتزعوها من أيدي الوهابيين والحقوها بالعراق وقد سقطت امارة بني خالد ويسمون (آل حميد) أيضا ، بيد السعوديين في سنة ١٧٩٥م •

أما الكويت فان الحكومة العثمانية وان كانت لم تعترف بانفصاله عنها رسميا حتى بعد ان ارتبط الشيخ مبارك بمعاهدة مع بريطانيا وقعت في الثالث والعشرين من كانون الثاني سنة ١٨٩٩م [راجع نص المعاهدة في الملحق الخاص بالمعاهدات والاتفاقات] فانها أي الحكومة العثمانية قد اعترفت ، طبقا لاتفاقية سنة ١٩١٣م بينها وبين بريطانيا ، بالاتفاقات التي عقدها شيخ الكويت مع بريطانيا •

ولقد كان من نتائج الحملة التركية على نجد ، ان دخلت « قطر » تحت حماية الدولة العثمانية • وكانت بريطانيا قد استغلت الاضطرابات التي نجمت عن مهاجمة شيوخ البحرين وابي ظبي لامارة قطر سنة ١٨٦٧م

فتدخلت في الامر ، وارغمت شيخ قطر على أن يعقد معها معاهدة جديدة يعترف فيها بسيادة البحرين على بلاده • لكن شيخ قطر ما البث ان ثار ضد تلك المعاهدة حين بلغته انباء الحملة التركية ، واعلن خضوعه للدولة العثمانية التي عينته قائمقاما على قطر ، وانشأت لها في ميناء « الدوحة » [وتسمى البدعة أيضا وهي عاصمة قطر اليوم] مرسى للسفن ومحطة للفحم كما أنزلت فيه ثلة من الجند •

وظلت قطر تابعة لتركيا منذ ذلك الوقت حتى عقدت معاهدة التاسع والعشرين من تموز سنة ١٩١٣ بين بريطانيا وتركيا • ووفقا لهذه المعاهدة تنازلت تركيا عن كل ما لديها من حقوق في قطر لتحل بريطانيا محلها فيها •

★ ★ ★

اتجهت تركيا لمنازلة بريطانيا في جبهة اخرى من الخليج العربي هي منطقة شط العرب • ففي هذه المنطقة اخذت قوة عربية تظهر على مسرح الحوادث هناك وتتصدى لكل من تركيا وايران وحتى حكومة الهند الانكليزية • هذه القوة العربية الناهضة هي قبائل بني كعب التي نزحت في منتصف القرن الثامن عشر من أواسط الجزيرة العربية لتستقر في عربستان وعلى الضفة الغربية لشط العرب أيضا •

كانت عربستان لا تعترف بالحكم الايراني عليها ولا سيما في أوائل القرن الثامن عشر حيث لعب حاكمها العربي الشيخ سليمان دورا كبيرا في توطيد النفوذ العربي هناك •

وكان من جراء ذلك ان جردت ايران في سنة ١٧٥٧م حملة كبيرة كان يقودها « كريم خان الزند » لكسر شوكة النفوذ العربي هناك لكن هذه الحملة لم تنجح في مهمتها وكانت عاقبتها الهزيمة الشنعاء •

وقد خشيت كل من بريطانيا وتركيا من تعاظم النفوذ العربي في عربستان فاشتركتا في سنة ١٧٦٢ في ارسال قوة مشتركة منهما لمقاومة العرب هناك •

وفي سنة ١٨٢١ توصلت كل من تركيا وايران الى توقيع المعاهدة المعروفة باسم « معاهدة ارضروم الاولى » بينهما •

ووفقا لهذه المعاهدة اعترفت الدولتان المتعاقدتان بالسيادة العثمانية على المحمرة والسيادة الايرانية على خوزستان •

لكن العرب الساكنين في عربستان لم يعترفوا ببنود تلك المعاهدة حتى

ان الشيخ غيث بن غضبان أمير عربستان طلب المعونة سنة ١٨٢٧ من أمير مسقط لمحاربة ما قررته تلك المعاهدة ·

وفي سنة ١٨٦٥ جردت حملة جديدة ضد عربستان قادها كريم الزند نفسه وشاركت كل من بريطانيا وتركيا فيها ·

وقد أمر كريم خان الجيش الايراني بأن يعمد الى تهديم السدود والقنوات في حوض نهر كارون ليقطع الطريق على العرب هناك وحينئذ انتقل العرب من عاصمتهم « قبان » الى « الفلاحية » ·

ولغرض اضعاف النفوذ العربي في عربستان والمحمرة ومنع توسعه الى جهات اخرى ، ولدرء الخطر الذي يمثله تعاظم النفوذ انكليزي على المصالح التركية في الخليج وايران والعراق ، أقدمت تركيا على بناء تحصينات عسكرية في شط العرب ·

كان مدحت باشا أول من فكر بهذا المشروع سنة ١٨٦٩ حين جعل مدينة « الفاو » مركز قضاء يمتد حتى الزبير وشط العرب ·

وقد تجددت محاولات تركيا هذه بعد فشل حملتها على نجد · وفي سنة ١٨٨٣ قام القائد العثماني في بغداد برحلة سرية الى الفاو رافقه فيها الاميرال رضا باشا متصرف البصرة آنذاك وكان الغرض من هذه الرحلة دراسة الاوضاع الملائمة لاقامة تحصينات عسكرية في الفاو قدرت تكاليفها بحوالي ثلاثة وتسعين الف ليرة · وكان العقيد « مولكير » الوكيل السياسي البريطاني في البصرة هو الذي أعلم حكومة الهند بانباء تلك الرحلة السرية ، وحينئذ نشطت بريطانيا في اخافة ايران من خطر اقامة مثل تلك التحصينات · وطلبت وزارة الخارجية البريطانية الى وزير الهند اللورد كروس في ١٦ نيسان ١٨٨٧ ان يستوضح رأي الحكومة الايرانية في هذا الشأن ، فقام المستر نكلسون الممثل البريطاني في طهران بافهام الحكومة الايرانية ان بريطانيا مستعدة لمساندتها في أي احتجاج تقدمه الى اسطنبول عن هذه القضية · كما بين الممثل البريطاني الشاه ايران مبلغ الخطر الذي يمثله وجود مثل هذه التحصينات ·

واتفق السفير الايراني في اسطنبول محسن خان مع السفير البريطاني فيها المستر وليم وايت على اتخاذ خطوة موحدة في هذا المضمار · وفي الحادي والعشرين من شهر آب سنة ١٨٨٧ تقدم المستر وليم وايت باحتجاج شديد اللهجة الى سعيد باشا وزير الخارجية التركية ، وطالبه بالكف عن بناء

التحصينات في الفاو • لكن سعيد باشا رفض هذا الاحتجاج ورد عليه ان ما تقوم به الحكومة التركية لا يتعارض قط مع اتفاقية ارضروم الثانية المعقودة سنة ١٨٣٧ وفي مقابلة اخرى مع السفير البريطاني صرح سعيد باشا ان تركيا ماضية في بناء مراكز دفاعية لها في الفاو ، وان ايران حرة في بناء مثل هذه التحصينات في المحمرة وعلى الضفة الاخرى من شط العرب • لكن بريطانيا لم تقبل بهذه التفسيرات فقد استدعى اللورد سالسبوري وزير الخارجية السفير التركي رستم باشا في لندن اليه وافهمه عدم موافقة بريطانيا على اقامة هذه التحصينات •

ويظهر من هذا ان بريطانيا اعتبرت تلك التحصينات موجهة ضدها ، وانها تستهدف السيطرة على الملاحة في أنهار العراق ، وابعاد شركة لنج عنها على أساس ان الامتياز الذي منح لهذه الشركة محصور في نهر الفرات ليس الا •

وقد أكد اللورد سالسبوري هذه المخاوف في مذكرة جديدة قدمها الى السفير التركي في لندن ذكر فيها ان هذه التحصينات تهديد مباشر لمصالح بريطانيا الاقتصادية في العراق وحوض نهر الكارون •

وهددت المذكرة بان البحرية الانكليزية في الخليج العربي ستعرف كيف تتصرف •

وقد الجأت بريطانيا الى اثارة العراقيل بوجه تركيا حتى في العراق حين شرع جواسيس الانكليز يحرضون بعض شيوخ القبائل العراقية على الثورة ضد الاتراك ومنها ثورة شيوخ المنتفق سنة ١٨٨٩م •

هذا في حين ان تركيا نفذت مشروعها المزاحم لبريطانيا وذلك عندما انشأت شركة للملاحة في أنهار العراق سنة ١٨٩٢ برأسمال قدره مليون ليرة تركية • وكان مدحت باشا أول من فكر في هذا المشروع سنة ١٨٦٩ •

وقد تعاظمت مخاوف شركة لنج الانكليزية من تأثير هذه الحركة على مصالحها فكتب صاحبها ستيفن لنج الى مساعد وزير الخارجية البريطانية في ٢٧ ايلول ١٨٩٢م يعلمه ان الغرض الاول من انشاء شركة الملاحة التركية هو التخلص من شركته ، أي شركة دجلة والفرات للملاحة المتحدة •

وقد زادت الحكومة التركية في ضغطها على شركة لنج فطلبت الى المساهمين فيها من تجار بغداد ، وجلهم من المسيحيين ، ان ينسحبوا منها وينضموا الى الشركة التركية الجديدة •

* * *

تصدت روسيا هي الاخرى لبريطانيا سواء في ايران أم في الخليج •
وكانت روسيا قد تنبهت الى خطورة الخليج العربي منذ عهد بطرس الاكبر كما ألمعنا الى ذلك قبلا • ولهذا أخذت روسيا منذ ذلك الوقت ترسم سياستها للوصول الى الخليج عن طريق التسلل الى ايران والعراق • وكانت بريطانيا على ادراك تام بمدى الخطر على مصالحها الذي يمثله وصول الروس الى الخليج •

فلقد كتب اللورد نورثبروك نائب الملك في الهند الى وزارة الخارجية البريطانية رسالة في العشرين من ايار سنة ١٨٧٦ يقول فيها « علينا ان نعتبر اى امتداد للاقاليم الروسية باتجاه الخليج الفارسي ، او اية حماية روسية لسواحل ذلك الخليج ، خطرا مباشرا على الهند • وهذا ، حسبما اظن ، يكفي وحده لاستخدام القوة في المحافظة على سيادتنا الحالية في الخليج » •

وفي رسالة بعث بها اللورد كروس نائب الملك في الهند في الخامس من اذار سنة ١٨٨٧م الى وزارة الخارجية البريطانية اكد على حكومة بريطانيا ان تتبنى النقاط التالية في سياستها ازاء الخليج •

١ ـ عدم السماح لاية قوة أجنبية تنافس السياسة البريطانية في جنوبي ايران •
٢ ـ السعي للحصول على امتياز بمد خط حديدي ما بين طهران والاهواز •
٣ ـ اقناع شاه ايران باهمية فتح نهر كارون للملاحة البريطانية •
٤ ـ توسيع نطاق التجارة البريطانية مع ايران لمنافسة التجارة الروسية •

كانت روسيا في ذلك الوقت قد باشرت بمد سكة حديد من « مرو » الى « كوجك » في مقاطعة خراسان • وكانت تعتزم الانحدار من هناك الى كرمان • كما أنها اتمت في سنة ١٨٩٨م بناء سكة حديد « قارص » تمهيدا لايصالها الى « اريفان » عاصمة ارمينيا ومنها الى « تبريز » • وكانت تفكر في ايصال هذه السكة من تبريز الى خانقين ومنها تمد خطا حديديا الى بغداد فالبصرة ثم الكويت •

وبالاضافة الى ذلك كانت روسيا تفكر أيضا في مد خط حديدي من « انزلي » الى طهران • وكان الانكليز يعتقدون أن تسلل روسيا الى الخليج سيكون عن هذا الخط وذلك بايصاله الى أبى شهر والفاو حيث تواترت الانباء عن وجود محاولات روسية للاستيلاء على جزيرة قشم ، وعن ظهور

بعض الوكلاء الروس في الكويت وسستان • وفضلا عن ذلك حصل الروس على امتياز يخولهم حق الملاحة في الانهار الايرانية التي تصب في بحر قزوين وبانشاء الموانىء على الساحل الايراني لهذا البحر •

واذ وجدت بريطانيا ان تحذيراتها لشاه ايران من مغبة الخطر الروسي على بلاده لم تفلح حاولت اقناع كل من فرنسا وروسيا بان تشتركا معها في مد خط حديدي بين رشت وطهران والخليج العربي لكن روسيا رفضت المشاركة في مثل هذا المشروع وعلى الاثر اعلنت بريطانيا سنة ١٨٩٦ ان أي تقدم من جانب روسيا نحو الخليج يجب أن يقابل بهجوم بريطاني عسكري على عربستان وذلك بقصد سد الطريق امام روسيا الى الخليج والمحيط الهندي •

وردت روسيا على هذا التهديد بمثله واعلنت انها لا تعترف لبريطانيا بأية افضلية في الخليج ، وان منطقة الخليج يجب ان تظل ذات صفة تجارية دولية وليس منطقة نفوذ بريطانية ازاء ذلك اخذت بريطانيا تضغط على شاه ايران وتشتري ذمم بعض رؤساء العشائر الايرانية بالمال ولا سيما زعماء قبيلة البختياري الشهيرة حتى ان بريطانيا بعثت ببعض ضباطها لتدريب تلك القبائل على فنون القتال •

واخذت بريطانيا تحاول استمالة الشيخ خزعل امير عربستان الى جانبها فاعلمت قنصلها في بغداد ان يسعى الى الاتصال بالشيخ خزعل ويتعرف على نواياه ازاء ايران وبريطانيا وتركيا •

وفعلا قام القنصل البريطاني ببغداد في حزيران سنة ١٨٩٨ بزيارة الشيخ خزعل في المحمرة واستطاع بالحديث معه أن يستشف كل آماله ونواياه ومن حينها وقفت بريطانيا موقف المقاوم للشيخ خزعل ضد اية حركة يعتزم من ورائها اعلان استقلال عربستان •

الفصل السابع

الصفحة الاخيرة للصراع البريطاني التركي الروسي في الخليـج

باقتراب سنى القرن التاسع عشر من الاختتام بدأت الصفحة الاخيرة من الصـراع على السيادة في الخليج العربي بين تركيا وبريطـانيا وروسـيا كانت بريطانيا ، بعد ان تخلصت من منافسة البرتغال وهولنـــدا واعاقت فرنسا عن امتلاك أي موقع قوي لها على طريق الهند ، قد عمدت الى ربط شيوخ ورؤساء الخليج العربي معها باتفاقات ومعاهدات لا تخرج في تطبيقها العملي عن اتفاق الذئب مع الحمل ٠

فبالنسبة الى الكويت كانت الحكومة البريطانية تزعم ان الشيخ عبدالله الصباح قد طلب في سنة ١٨٠٥م حمايتها له من خطر الوهابيين ، ولذلك حاولت بعد سنتين من ذلك التأريخ حمله على عقد اتفاق معها بهذا الشـأن فلم يقبل بذلك وقد جددت بريطانيا محاولتها تلك في عهد الشيخ جابر الصباح سنة ١٨٥٦م ٠ لكن أهمية الكويت برزت في نظر بريطانيا بصفة جدية بعد تجريد الحملة التركية على نجد سنة ١٨٧١م فقد اخضعت تلك الحملة

الاحساء للحكم التركي ، ووطدت تبعية الكويت للباب العالي اذ ان شيخ الكويت كان قد رفع العلم التركي على قصره ، وجهز قوة برية وبحرية لمعاونة الاتراك في حملة الاحساء • وازاء ذلك حصل شيخ الكويت على لقب « باشا » وعلى املاك واسعة له في منطقة الفاو • كما ان بريطانيا ذاتها قد اعترفت بسيادة تركيا على الاحساء والقطيف والكويت والعقير مقابل بقاء السيادة البريطانية على السواحل •

لكن مخاوف بريطانيا من النفوذ التركي في الخليج بلغت ذروتها سنة ١٨٨٧م عندما شرع والي البصرة سليمان نظيف باشا يقوي علاقاته مع امراء الخليج العربي ، ويضمهم الى الحماية التركية ، وكان من بين هؤلاء آل خليفة امراء البحرين الذين رفعوا العلم التركي على بلادهم في تلك السنة اعترافا منهم بالحماية التركية •

ومما تجدر الاشارة اليه ان بريطانيا هاجمت البرتغاليين في البحرين وأخرجتهم منها سنة ١٦٢٢م كما أسلفنا ذكره ، لكنها لم تحتل البحرين بل سلمتها الى ايران حتى سنة ١٧٨٣م عندما هاجمت قبائل « العتوب » العربية البحرين من « زيارة » فحررتها من الفرس ، واقامت حكومة لها فيها • وقد حاول سلطان مسقط مهاجمة البحرين فاستنجد اهلها بالوهابيين الذين مكثوا فيها حتى سنة ١٨١٠م ، وبعد عشر سنوات اقدمت بريطانيا على ربط شيخ البحرين بمعاهدة مماثلة • ولم تكتف بريطانيا بذلك بل حاولت احتلال البحرين واعلان حمايتها عليها • ولما لم تستطع الى ذلك سبيلا جددت معاهدتها السابقة باخرى جديدة في سنة ١٨٦١م التي فرضت الحماية البريطانية على البحرين •

وبعد ان تمركز الاتراك في الاحساء والقطيف واخذوا يتقربون الى شيخ البحرين عادت بريطانيا فالزمته بتوقيع معاهدة جديدة معها تعهد فيها بان « لا يتنازل ولا يبيع ولا يؤجر ولا يأذن باحتلال أي جزين من املاكه لغير بريطانيا » • واعقبت ذلك بتعيين معاون وكيل سياسي لها في البحرين سنة ١٩٠٠م رفع الى درجة وكيل في سنة ١٩٠٤ •

ويرجع اهتمام الانكليز بالكويت لاول مرة الى سنة ١٧٧٩ عندما هاجمت ايران البصرة واخطرت الوكالات الاجنبية ، ومنها الوكالة الانكليزية ، الى الانتقال منها الى الكويت وحين هدأت الامور عادت الوكالة الانكليزية الى البصرة ثم انتقلت منها ثانية الى الكويت سنة ١٧٩٣ •

ومثل هذا فعلته بريطانيا مع قطر حيث عقدت مع حاكمها معاهدتين الاولى كانت في سنة ١٨٢٠ والثانية في سنة ١٨٣٥ ٠

وحين اراد شيوخ البحرين وابي ظبي مهاجمة قطر سنة ١٨٦٧م تدخلت بريطانيا في الامر واستغلت تلك الحادثة فربطت شيخ قطر بمعاهدة جديدة تعهد فيها ان يعترف بسيادة البحرين على بلاده ، وان يرفع كل خلاف يقع بينه وبين جيرانه الى المقيم البريطاني في الخليج ٠

والقد وجد شيخ قطر في حملة مدحت باشا على الاحساء فرصة سانحة له للتحرر من المعاهدة التي كبله الانكليز بقيودها أعلن خضوعه للحماية التركية ، وعين لقاء ذلك قائمقاما على قطر وكانت تركيا قد انشأت لها قوة بحرية في البدعة [الدوحة] عاصمة قطر الآن ، ومرسى للسفن ومحطة للفحم ٠ ويبدو ان من بين ما اقدم عليه سليمان نظيف باشا والي البصرة في قطر هو انه شرع بتقوية الحامية التركية في البدعه والاتفاق مع شيوخ عمان وشيخ حائل عبدالعزيز بن متعب الرشيد ٠

وضاعفت تركيا من نشاطها هذا بان بعثت باحد رجال الدين ، هو الشيخ احمد بن اسعد الى نجد وذلك التهيئة الاذهان لبسط الحماية التركية على قطر بصفة رسمية ٠

وما ان علمت بريطانيا بهذه الاحداث حتى هددت تركيا على لسان السفير البريطاني في اسطنبول الذي انبأ وزارة الخارجية التركية في ٢٢ نيسان ١٨٩٣ بعزم حكومة الهند على ارسال حملة عسكرية هندية الى قطر ٠ ولقد استاء سعيد باشا رئيس الوزارة التركية من لهجة السفير البريطاني تلك ورد عليه بان تركيا تعتبر جميع المناطق الواقعة على ساحل الخليج جنوبي البصرة حتى ساحل عمان ، مناطق تابعة لولاية البصرة ذاتها وان تركيا سبق لها ان وضعت حاميات تركية في تلك المناطق ٠

ولم تقنع بريطانيا برد سعيد باشا هذا وكررت طلباتها الى تركيا بان تسحب قواتها من قطر ، وان تعترف باستقلالها تحت حكم عائلة آل ثانى ٠ وازاء ذلك تعاظمت اطماع الشيخ جاسم آل ثاني فطلب الى أخيه أحمد بأن يدخل في مفاوضات مع الانكليز لعقد معاهدة جديدة معهم على غرار معاهدة سنة ١٨٦٨ ٠ وقد سمح الانكليز لقاء ذلك للشيخ جاسم بان يدفع ضريبة سنوية الى السلطان العثماني لكن السلطان عبدالحميد الثاني لم يقنع بهذه التسوية وأراد تجريد حملة عسكرية على قطر لولا تدخل السيد ابى

الهدى الصيادي الذي حال دون ارسال تلك الحملة • وحينئذ بعث الشيخ جاسم الى السلطان عبدالحميد برسالة مطولة يعتذر فيها عما بدر عنه ، ويطلب العفو منه ، ويعلن انه مطيع وموال للخليفة ، وانه يرحب برفع العلم العثماني على قصره •

وحين بدأ الانكليز يتحرشون بشيخ قطر استعدت قبائل « البوعلي » وهي من قبائل العتوب التي نزلت البحرين سنة ١٧٨٣م ثم هجرتها الى الزبارة فاستقرت فيها، لمساعدة شيخ قطر ومهاجمة الانكليز • وقد اتصلت هذه القبائل بالسلطات التركية فبعثت هذه اليها بقوات جديدة لكن الانكليز ما فتئوا قبل وصول النجدة التركية ان ارسلوا قطعا من اسطولهم الى زبارة هاجمت قبائل البوعلي ، ودمرت ما لا يقل عن أربعين سفينة من سفنهم •

وقد احتجت تركيا على هذا العدوان وبعثت بمذكرات احتجاج عديدة الى بريطانيا بشأنه • ومع ذلك ظلت قطر تابعة لتركيا اسميا حتى سنة ١٩١٣ عندما اعترفت الاستانة بالحماية البريطانية على قطر •

اتجهت بريطانيا بعد ذلك الى روسيا لوقفها عند الحدود التي بلغتها في شمالي ايران • وكانت بريطانيا قد أخذت تفكر بالخطر الروسي منذ الاتصالات التي جرت بين نابليون والقيصر الروسي ، وكان وكلاء بريطانيا في ايران والخليج العربي والعراق وتركيا يتعقبون نشاط روسيا بكل دقة ، ولذلك كانت بريطانيا تدرس جميع الاحتمالات المترتبة على وقوع تصادم مسلح مع روسيا في الشرق الادنى ، كما دأبت على احداث الشقاق بين روسيا والمانيا لان وقوع الحرب بينهما من شأنه أن يضعف كلا منهما ويوقف الخطر الروسي الذي يهدد شمالي الهند •

ويبدو ان روسيا وجدت ان افضل طريق امامها للوصول الى الخليج هو التغلغل في الافغان وايران • ولذلك شرع الانكليز يقوون اتصالاتهم مع عرب المحمرة وعربستان وقبائل البختيارية الايرانية تمهيدا لاستخدامهم في مقاومة النفوذ الروسي عند الحاجة •

وفضلا عن ذلك فقد اقترح بعض المسؤولين في بريطانيا والهند ومنهم اللورد كرزن وضع قوات انكليزية بصفة دائمة في شبه جزيرة « مسندم » لاستخدامها ضد الروس • وكان الانكليز يفكرون في الميناء الذي ستستخدمه روسيا نقطة وثوب لها في الخليج لان تمركزها في ميناء كهذا ولو تحت ستار اقامة محطة وقود للسفن الروسية ، سيمكنها من الاتصال

بشيوخ الخليج ومحاولة اجتذابهم الى جانبها • وقد حدث ما كانت بريطانيا تخشاه فعلا حين حاول الروس الاتصال بالشيخ مبارك أمير الكويت ، وعبدالعزيز بن السعود أمير نجد سنة ١٩٠٢ واغرائهما بعقد معاهدات معهم•

كانت وسائل المواصلات ، ولاسيما سكك الحديد ، من أهم ما اعتمدت عليه روسيا في النفاذ الى ايران والخليج العربي • وقد أعدت الخطة لمد خط حديدي يربط قزوين في الشمال بميناء بندر عباس في الجنوب ، وقد عالج اللورد هاملتون نائب الملك في الهند خطر هذه السكة في مذكرة سرية بعث بها الى وزير الخارجية البريطانية في الثالث من نيسان سنة ١٩٠٠ • ومما جاء فيها قوله « اننا نحتكر التجارة في الخليج الفارسي بصفة عملية فهل في مقدورنا ان نحتفظ بذلك في وجه امتداد خط حديدي الى الخليج الفارسي لانه سيخرق احتكارنا لطرق النقل البحري التي نملكها هناك ؟ هل نستطيع أن ندعي انه لما كانت ايران مجاورة لبلوخستان فهي مجاورة للهند ، ولذلك لا يحق لاى طرف ان يمتلك اي جزء يسهل معه غزو الهند أو يقلل من مكانتنا السياسية هناك ! »

ورغم كل هذه الاحتياطات التي اتخذتها بريطانيا وجهودها المتواصلة لتثبيت نفوذها في ايران والعراق ، فان روسيا كانت نشطة جدا في ايجاد موطىء قدم لها في الخليج وقد عمدت حتى الى الاحتيال في ذلك • ففي الرابع عشر من آذار سنة ١٩٠٠ رسا الطراد الروسي « جلياك » في ميناء بندر عباس لشراء كمية من الفحم وقد تم شحن قسم منه وابقى قسم آخر في الميناء بدعوى ان عنابر الطراد لا تتسع له وانه سيعود ثانية الى الميناء لنقل الفائض من الفحم غير ان الانكليز فطنوا الى هذه اللعبة فالحوا على شاه ايران أن يرفض طلب السفينة الروسية ، وان يرغمها على نقل الفحم كله مرة واحدة •

كان القنصل الروسي في بغداد على ظهر ذلك الطراد • وحين عاد من رحلته في الخليج كتب الى العاصمة بطرسبرغ يقترح عليها فتح خط للبواخر الروسية بين الموانيء الروسية والخليج العربي، وتأسيس بنك روسي في أحد موانيء الخليج ، وانشاء محطة للفحم في بوشهر ، وتأسيس قنصلية روسية فيها ، وابقاء طراد روسي بصفة دائمة في ميناء بندر عباس •

وفي الحادي والعشرين من آذار سنة ١٩٠١ زار قنصل روسيا في اصفهان ، وهو من الاسرة المالكة ، ميناء بوشهر واجتمع بالعقيد كابل

المقيم البريطاني هناك وقد قوبلت هذه المحاولة الروسية بالقلق والامتعاض من لدن بريطانيا • حتى اذا تجددت الاشاعات عن عزم روسيا على مد خط حديدي الى الكويت ثارت ثائرة بريطانية حيث أعلن اللورد لانسدون وزير الخارجية البريطانية في مجلس اللوردات « اننا نعتبر اقدام أية دولة أخرى على تأسيس قاعدة بحرية أو ميناء محصن في الخليج الفارسي تجاوزا على المصالح البريطانية من واجبنا ان نرده بكل ما لدينا من الوسائل •

وما لبث الصراع البريطاني الروسي على ايران والخليج ان لبس لبوسا جديدا • فقد أخذت كل من الدولتين تتظاهر بالعطف على اماني الشعب الايراني في الحرية والتخلص من الحكم الفردي الاقطاعي والتمتع بالحياة الدمقراطية • ولذلك شرعت كلتا الدولتان تتظاهران بتأييد الحركة الدستورية في ايران ومساندة المعارضة فيها مما سهل لوكلاء الانكليز والروس التغلغل داخل تلك الحركة وشراء ذمم بعض رجالاتها الكبار بالمال •

على أن عاملا جديدا كان قد ظهر على المسرح آنذاك ودفع بروسيا وبريطانيا الى ايقاف الصراع بينهما ذلك العامل هو بروز النفوذ الالماني الذي أخذ يكتسح تركيا والولايات التابعة لها ويشق طريقه نحو العراق والخليج • هنا وجدت الدولتان المتنازعتان روسيا وبريطانيا ان مصالحهما تقضي عليهما بالاتفاق على تقسيم ايران الى منطقتي نفوذ لهما وقد تم ذلك فعلا بالمذكرة المشتركة التي قدمها السفيران الروسي والبريطاني في ايران في الحادي عشر من شهر ايلول سنة ١٩١٧ الى الحكومة الايرانية •

وقد ظل هذا الاتفاق الروسي الانكليزي بشأن ايران ساري المفعول حتى انتهاء الحرب العالمية الاولى وقيام الثورة الشيوعية في روسيا •

الفصل الثامن

سكة حديد بغداد ـ برلين
والزحف الالماني نحو الشرق

جاء ظهور الثورة الصناعية وبروز الرأسمالية في المانيا متأخرا عنه في غيرها من البلدان الاوربية الاخرى ولا سيما بريطانيا وفرنسا . وكان من نتيجة ذلك ان تأخرت المانيا في مسابقة دول اوربا على اقتسام العالم الجديد (الامريكتان واستراليا) وافريقيا وآسيا . حتى اذا غدت المانيا دولة صناعية قوية ذات رأسمالية متحفزة للحصول على المواد الخام والاسواق الخارجية وجدت أن منافسيها من انكليز وفرنسيين وبرتغاليين وهولنديين وبلجيكيين قد سبقوها الى انشاء المستعمرات الكبرى ، واحتكار الاسواق الواسعة ، والاستئثار بالمواد الخام في بقية العالم خارج القارة الاوربية . ولذلك اندفعت المانيا بكل قوتها نحو القارتين القديمتين آسيا وافريقيا تبحث فيهما عن موطىء قدم لها ، ومنازعة منافساتها من الدول الاوربية الاخرى هناك فاستطاعت في افريقيا أن تضع يدها على الكمرون وجنوبي افريقيا . أما في آسيا فقد ركزت اهتمامها في تركيا والعراق بصفة خاصة وذلك

لان الاوضاع فيهما كانت مهيأة للتوغل ، وللاستحواذ على ما فيهما من أسواق وخامات ·

كان الكونت هتزفيلد سفير المانيا في اسطنبول في مقدمة العاملين على توطيد النفوذ الالماني في تركيا ·· فقد استطاع هذا أن يستغل نفور الباب العالي من الانكليز والفرنسيين ، وان يتقرب من السلطان وحاشيته · وقد أثمرت مساعيه تلك سنة ١٨٨٣م حين وافق السلطان على أن تتولى بعثة عسكرية المانية تدريب الجيش التركي بدلا من البعثة الفرنسية · وسارعت المانيا في ارسال تلك البعثة الى تركيا في الحال وكان يقودها الفيلد مارشال فون در غولز الذي أصبح له مقامه المرموق في تعزيز النفوذ الالماني في الاستانة ·

ولقد هيأ التدهور الاقتصادي والارتباك المالي في تركيا مجالات واسعة امام المغامرين من الممولين الانكليز والفرنسيين والالمان · وكانت مشاريع مد خطوط البرق ، وسكك الحديد ، وانشاء المصارف في مقدمة الاهداف التي سنعت الدول الاوربية المتنافسة الى تحقيقها لاول مرة في تركيا ولا سيما بعد الافلاس الذي أصاب الخزينة التركية سنة ١٨٧٥م · ولذلك اعقب وصول البعثة العسكرية الالمانية الى تركيا قيام « شركة هاندل شفراين » الالمانية بارسال وفد منها الى لبنان لجمع المعلومات الاقتصادية عن الشرق العربي ·

وفي سنة ١٨٨٨م نجح المصرف الالماني في التوقيع على اتفاقية مع الحكومة التركية لمد سكة حديد حيدر باشا ـ انقره البالغ طولها اربعمائة وخمسة وثمانين ميلا · ومن وقتها اشيع ان هذا الخط لن يقف عند انقره وانما سيمتد منها الى العراق فالخليج العربي وبذلك يدق باب الهند ·

عندما تولى ولهلم الثاني عرش المانيا سنة ١٨٨٩م أظهر رغبة شديدة في توطيد النفوذ الالماني في تركيا والبلاد التابعة لها · فعرج اثناء جولته في اوربا على الاستانة حيث لقي من السلطان عبدالحميد الثاني بالغ التكريم والترحاب · واعقب هذه الزيارة التوقيع على معاهدة تجارية بين تركيا والمانيا سنة ١٨٩٠م ·

وكانت شركة خطوط الاناضول ، وهي شركة المانية ، قد تألفت سنة ١٨٨٨م وبعد ان ضمنت تأييد البنك الالماني لها شرعت بمد خط حديدي من أزمير الى انقرة وكان مقررا ان يمتد هذا الخط الى ديار بكر فالموصل فبغداد ·

ولم تنجح محاولات الممولين الانكليز والفرنسيين والبلجيكيين في الحصول على امتيازات لمد سكك الحديد ومزاحمة الالمان الذين استطاعوا الحصول رسميا على امتياز سكة حديد ديار بكر ـ بغداد في الخامس عشر من شباط سنة ١٨٩٣م •

وفي سنة ١٨٩٨م قام ولهلم الثاني بزيارة جديدة الى تركيا ودعي لحضور بعض الحفلات الدينية في القدس وبعد أن زار بيت المقدس عاد الى دمشق فزار قبر البطل العراقي صلاح الدين الايوبي ، وألقى خطابا وجهه الى المسلمين اعرب فيه عن مؤازرته لهم ولخليفتهم السلطان عبدالحميد •

وقد أحدثت هذه الرحلة نشاطا كبيرا في الاوساط الدولية فقد قلقت منها روسيا اشد القلق ، واعتبرتها موجهة ضد مصالحها بالذات • في حين ارتاحت بريطانيا الى ما أحدثته تلك الرحلة من خصومة بين روسيا والمانيا •

وقد أفاد السلطان عبدالحميد الثاني افادة كبرى من هذه الرحلة لانها عززت موقفه ازاء الدول الاوربية التي كانت جد ناقمة عليه بسبب حوادث الارمن التي وقعت في تركيا آنذاك •

على ان الفون باولو وزير الخارجية الالمانية كشف الاغراض الحقيقية لرحلة القيصر الى الشرق في مذكرة قال فيها « ان من جملة المنافع التي تحققت لنا بفضل رحلة القيصر هي حصولنا على امتياز بانشاء مرفأ حيدر باشا ، وامتياز مد الاسلاك البحرية بين كونستننرا واسطنبول ، وتعزيز الصلات بين الحكومة التركية والشركات الالمانية •• وسيكون في مقدورنا بفضل الاسلاك البحرية ، ان نتصل بالاستانة رأسا عن طريق المخابرات البرقية ، وقد يكون هذا الخط نواة خط عالمي جديد • ومما يجب ان ننوه به هنا هو تصميم ايصال سكة حديد الاناضول الى بغداد وهو ما نأمل به اكمال الفتح الاقتصادي في آسيا الصغرى » •

وعلى أثر هذه الرحلة انشأت احدى شركات الملاحة الالمانية محطة لها في اسطنبول وأخذت السفن الالمانية تبحر الى الموانيء التركية وسواحل البحر الابيض المتوسط والخليج العربي وكانت بريطانيا منذ سنة ١٨٩٠م قد سكتت عن النشاط التجاري الالماني في الخليج على أمل استئصال النفوذ الروسي فيه وفي سنة ١٨٩٩م اسس جماعة من المتمولين الالمان البنك الالماني الفلسطيني في القدس وفتحوا له فروعا في غزة وحيفا ويافا والناصرة وطرابلس وبيروت ودمشق وحلب •

وحلت مصانع الاسلحة الالمانية محل المصانع الانكليزية والفرنسية في تزويد الجيش التركي بالسلاح • وتبع ذلك جيش عرمرم من التجار الالمان الذين غزوا بسلعهم تركيا والشرق الادنى فاذا بالصادرات الالمانية تقفز من أحد عشر مليون مارك في سنة ١٨٨٨م الى أربعين مليون وتسعمائة الف مارك سنة ١٨٩٣ • وارتفعت قيمة الصادرات التركية في ذات المدة من مليونين وثلثمائة الف مارك الى ستة عشر مليون ونصف مليون مارك وارفقت المانيا هذه الحملة الاقتصادية بحملة تبشير في تركيا والبلاد العربية على غرار ماكانت تفعله بريطانيا وفرنسا وروسيا حيث نشطت جمعيات التبشير الالمانية في فلسطين وسورية ولبنان • وقد كان لهذه الجمعيات التبشيرية خطرها الكبير على مستقبل فلسطين بصفة خاصة • ذلك ان اليهود استطاعوا عن طريق هذه الجمعيات الالمانية وبمساعدتها المادية لهم ان يؤسسوا عددا من المستعمرات اليهودية في فلسطين سنة ١٨٩٦م ولا سيما في منطقتي القدس وحيفا •

* * *

يذكر المؤرخون المحدثون ان السلطان عبدالعزيز هو أول من فكر في مد خط حديدي بين اسطنبول وضاحية ازميد على بحر مرمرة ، وانه استقدم في سنة ١٨٧١م أحد المهندسين الالمان لهذا الغرض •

غير ان المتفق عليه هو أن أعضاء هيئة الديون العثمانية العامة وهي لجنة انشأتها الدول الاوربية الدائنة لتركيا سنة ١٨٨١م هم الذين ابدوا اهتماما حقيقيا بمد سكك الحديد في تركيا • وقد كانت أولى الشركات التي عرضت على الباب العالي مد خط حديدي شركة روسية نمسوية طلبت في سنة ١٨٩٨م أن يوءذن لها بمد خط حديدي بين طرابلس الشام على ساحل البحر الابيض المتوسط والخليج العربي ، وان يكون لهذا الخط فرعان أحدهما يمتد الى بغداد والثاني الى خانقين •

وأعقب ذلك قيام جماعة من المموليين الفرنسيين بالسعي للظفر بامتياز لمد خط حديدي يربط سواحل سوريا بالخليج العربي • ولما كان المال متوفرا لدى هذه الجماعة فقد صمم البنك الالماني على المشاركة معهم في المشروع ، وجرت مفاوضات بهذا الشأن في برلين سنة ١٨٩٩م • وقد تم الاتفاق على أن يشترك البنك الالماني والبنك العثماني في شركة سكة حديد

بغداد بنسبة أربعين في المائة من الاسهم لكل منهما • واذا ما رغب الانكليز المساهمة في المشروع فسيطرح آنذاك مقدر متساو من اسهم كل من المصرفين الالماني والعثماني لهذا الغرض •

وفي صيف تلك السنة ذاتها تقدم عدد من الممولين الانكليز بطلب لمد خط حديدي بين اسكندرونة وبغداد ويتصل بالخليج العربي • وكان اصحاب الطلب متساهلين جدا في شروطهم مما حدا بوزارة الاشغال التركية الى الاتفاق معهم • وقد نالت هذه الجماعة مساندة فعالة من محمود باشا صهر السلطان عبدالحميد ، ومن السفير البريطاني في اسطنبول ، وقدمت لقاء ذلك هدايا ثمينة الى السلطان وحاشيته غير ان انشغال بريطانيا آنذاك بحرب « البوير » في افريقيا الجنوبية جعلها تهمل ذلك المشروع • وبانسحاب هؤلاء الممولين الانكليز خلا الجو للالمان حيث وافق السلطان بصفة مبدئية في السابع والعشرين من تشرين الثاني سنة ١٨٩٩م على منح البنك الالماني امتيازا بانشاء خط حديدي يمتد من « قونيه » الى بغداد فالخليج العربي • وقد سبق للسلطان في سنتي ١٨٨٨م و١٨٩٣م ان وعد شركة سكة حديد الاناضول الالمانية بان تكون لها الافضلية في بناء الخط الجديد ولذلك أخذت الشركة منذ ذلك الوقت تقوم بالكشف عن الطريق الذي سيمر فيه الخط ومسحه واعداد الخرائط والتصاميم اللازمة له • كان طول الخط من قونية الى الخليج يبلغ زهاء ألف وخمسمائة وخمسين ميلا ، وكانت المسافة بين برلين وقونية تبلغ حوالي ألف وثلثمائة ميل • على ان الارادة السلطانية بمنح الامتياز المذكور لم تصدر بصفة رسمية الا في سنة ١٩٠٢م وقد نصت اتفاقية الامتياز على أن يكون رأسمال المشروع خمسة عشر مليون فرنك تساهم شركة سكة حديد الاناضول بعشرة في المائة من حصصه ، وان تكون مدة الامتياز تسعا وتسعين سنة تؤول بعدها جميع ممتلكات الشركة الى الحكومة العثمانية خالية من الديون •

أثار حصول الالمان على امتياز سكة حديد بغداد عاصفة من القلق والاضطراب لدى الاوساط المالية والسياسية في كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا • كما اثار المخاوف العديدة لدى شيوخ الخليج العربي الذين ارتبطوا مع بريطانيا بمعاهدات او اتفاقات لا تخرج عن نطاق العمالة لها • ذلك ان خطورة المشروع لم تكن تنحصر في ربط برلين بخط حديدي مع العراق والخليج وما سيتبع ذلك من تعاظم النفوذ الالماني الاقتصادي

وحتى العسكري في تركيا والبلدان العربية التي سيمر بها الخط حسب ، وانما ستتعداه الى أهم من ذلك بكثير الا وهو الامتياز الذي منح للشركة الالمانية صاحبة المشروع في التنقيب عن الثروات المعدنية في جميع الاراضي التي يمر بها الخط وعلى عرض عشرين ميلا من كل جانب منه . كذلك نص الامتياز على منح الشركة حق الملاحة في نهري دجلة والفرات وانشاء الموانيء والمراسي والمخازن في بغداد والبصرة وفي النقطة التي ينتهي عندها الخط على الخليج .

كانت بريطانيا تعتقد أول الامر ان مشروع سكة حديد بغداد لم يكن بمثل هذه الخطورة والاهمية التي أظهرهما تحمس الانكليز له ولا سيما بعد ان استطاعت بريطانيا السيطرة على قناة السويس ، واحتكار اقصر طريق يربط اوربا بالشرق والهند . ولقد ذكر اللورد كرزن في كتابه « فارس والقضية الفارسية » ان مشروع سكة حديد بغداد لم يعد ضروريا .

لكن بريطانيا ما لبثت ان تنبهت الى هول الضربة التي اصابتها بسبب ظفر المانيا بامتياز ذلك الخط . فلقد كانت بريطانيا آنذاك مهيمنة على النشاط التجاري والاقتصادي في تركيا والبلدان التابعة لها في آسيا اذ أن صادراتها الى تركيا كانت تزيد على ثلاثة ملايين باون في السنة ، كما ان شركاتها كانت تحتكر الملاحة في انهار دجلة والفرات وشط العرب ، وتملك امتيازات واسعة لها في العراق وسوريا ولبنان . وعلى هذا فان تلك المصالح ستتعرض للخطر نتيجة استئثار الالمان بهذا المشروع .

والحقيقة ان تردي العلاقات بين بريطانيا وتركيا قبل منح امتياز خط بغداد الى الالمان كان هو السبب الرئيس في مقاومة المشروعات البريطانية في الامبراطورية التركية . وكان العامل الاساس في تردي تلك العلاقات اقدام الانكليز على احتلال مصر ، وانتزاعها من أيدى السلطان العثماني ولو أن سيادته عليها لم تتعد الاسم قط .. فبعد ان صعب على السلطان عبد الحميد منازلة الانكليز حربيا أخذ ينازلهم دبلوماسيا واقتصاديا فشرع يعرقل مشاريعهم في العراق ، وأخذ يقيم التحصينات في الفاو لضرب التجارة الانكليزية ، وبذل المال لامراء العرب في البصرة والكويت لمقاومة النفوذ الانكليزي ، وشجع أمراء قطر على احتلال البحرين التي تعاهد حاكمها مع الانكليز ، وحرض أمراء عمان ومسقط والهند وابن الرشيد على التصدي للانكليز ، ونادى بالجامعة الاسلامية واعادة الخلافة ليجمع المسلمين وراءه

ـ ولا سيما مسلمو الهند ـ ويؤلبهم على الانكليز ٠

وكان من اثار عقد اتفاقية سكة حديد بغداد ان خشي الشيخ مبـــارك أمير الكويت ما ينطوى عليه هذا المشروع من تقوية تركيا واقدامها على ضم امارة الكويت اليها بصفة نهائية ولذلك سارع ـ كما اشرنا الى ذلك قبلا ـ الى الاتصال بالانكليز طالبا الحماية منهم ٠

وعندما بعث الالمان ببعثة منهم الى الكويت يرأسها القنصل الالمانـــي العام في تركيا الهر « شتمرخ » ومعه عدد من المهندسين الالمان للحصول على اذن باقامة محطة في « كاظمة » تنتهي عندها سكة حديد بغداد ـ برلـين ، رفض الشيخ مبارك تلبية هذا الطلب ٠

وكان الالمان يدركون من ناحيتهم خطورة المقاومة التي ستجابههم بهـا كل من بريطانيا وروسيا وفرنسا ٠ ولذلك حاولوا اضفاء صفة اقتصادية بحتة على مشروع السكة ، وسعوا الى اشراك المموِّلين من تلك الدول فيه ٠ فاتصلوا بالانكليز والفرنسيين لهذا الغرض حيث جرت مفاوضات بين رجال المال في الدول الثلاث أما روسيا فانها منعت المموِّلين في بلادها من الاشتراك بالمشروع وكانت بريطانيا تشعر أكثر من غيرها بالخطر الذي يتهدد مصالحها في الخليج وفي تركيا والعراق اذا ما وصل الخط الحديدي الالماني الى الكويت ولذلك قررت محاربته واحباطه بكل السبل ٠

وأبدت روسيا هي الاخرى معارضتها للمشروع لانه يحطم آمالها في التوسع على حساب الامبراطورية التركية والذلك سارع السفير الروسي في اسطنبول المسيو زينوفيف الى ابلاغ البـاب العـالي بأن حكومته تعتبر مد سكة حديد الاناضول الى الموصل عن طريق ارمينيا يهدد حدود ممتلكاتها في القفقاس ، وانها لاتستطيع السكوت عن هذا المشروع ، وهي لذلك ستطالب الحكومة التركية بتسديد كل ما بقي في ذمتها من تعويضات الحرب التـــي أقرها مؤتمر برلين المنعقد في سنة ١٨٧٨م اذا ما اصرت تركيا على انشاء ذلك الخط ٠ وطبقا لذلك اختارت الحكومة التركية طريق قونية بدلا مـــن ارمينية ، وتعهدت للحكومة الروسية في اتفاقية البحر الاسود سنة ١٩٠٠م ان تمتنع عن منح اية امتيازات لمد سكك الحديد شمالي الاناضول الى غير الشركات الروسية ٠

أما فرنسا فقد أحجمت عن معارضة المشروع بعد أن اعطيت شركاتهـا فيه حصة تعادل حصة الشركات الالمانية ولذلك اتخذ السفير الفرنسي في

اسطنبول موقف الحياد تجاه المفاوضات التي أجراها الالمان مع الباب العالى للظفر بامتياز المشروع ٠

كانت معارضة بريطانيا وروسيا لمشروع سكة حديد بغداد من العوامل التي أدت الى عقد الاتفاق البريطاني الروسي سنة ١٩٠٧م لكن بريطانيا ثارت ثائرتها عندما علمت بانباء الاتفاق الذي وقعه قيصر روسيا في بوتسدام في التاسع من آب سنة ١٩١١م والذي تعهدت فيه روسيا بالكف عن مقاومة مشروع سكة حديد بغداد مقابل تعهد المانيا بعدم التدخل في شؤون ايران ، والتخلي عن مشروع سكة حديد بغداد ـ خانقين ، وعدم المساس بامتيازات روسيا في ايران ٠

وحين فشل الانكليز في عرقلة مشروع الخط عمدوا الى تسوية قضية الكويت والخليج مع تركيا حيث توصلت الدولتان البريطانية والتركية الى اتفاق في التاسع والعشرين من تموز سنة ١٩١٣م بينهما نصت المادة الاولى منه على أن « الكويت جزء من الامبراطورية العثمانية » ٠ واعترفت تركيا في المادة الثانية بعدم التدخل في الشؤون الداخلية لشيخ الكويت بما في ذلك مسألة الوراثة على العرش مقابل أن يرفع الشيخ العلم العثماني ، وان يتولى منصب القائمقام في الكويت لحماية الرعايا والمصالح التركية في تلك المنطقة ٠

كذلك اعترفت تركيا في المادة الثالثة من الاتفاق بالمعاهدات التي عقدتها بريطانيا مع شيخ الكويت في السنوات ١٨٩٩ و١٩٠٠ و١٩٠٤ بينما تعهدت بريطانيا في المادة الرابعة ان لا تبسط حمايتها على الكويت ٠

وقد جدد هذا الاتفاق سنة ١٩١٤ باتفاقية جديدة اعترفت فيها تركيا ان تكون نهاية الخط في البصرة الا اذا وافقت بريطانيا على مدها الى الكويت ، وان يكون للانكليز عضوان في مجلس ادارة شركة سكة حديد بغداد برلين ٠

لكن بريطانيا ما فتئت ان اتصلت بالمانيا سرا واتفقت معها على اقتسام مناطق النفوذ في الامبراطورية العثمانية وذلك طبقا للاتفاقية التي وضعت مسودتها في الخامس عشر من حزيران سنة ١٩١٤م والتي تعهد الانكليز فيها بمساندة مشروع السكة ، وانيتفاوض الطرفان حول ايصاله الى الخليج العربي ٠ كما تعهد الالمان بالكف عن انشاء ميناء لهم على الخليج العربي ، والامتناع عن مساندة اية دولة أجنبية تحاول ذلك ٠

وما هي الا أيام قلائل حتى انفجرت شرارة الحرب العالميـة الاولى فاذا ببريطانيا ترى في هذه الحرب فرصة نادرة للانتقام من غريمتها المانيـــا فتحالف كلا من فرنسا وروسيا وتركز كـل ثقلهـا العسـكري في العـراق والجزيرة العربية لتنتزعها من أيدي الرجل المريض ولتستأثر بمواردهـا وخيراتها ومواقعها الستراتيجية ولا سيما العراق مفتاح الهند ٠

الفصل التاسع

خاتمة المطاف في الصراع على البترول في الخليج

في الوقت الذي كانت فيه الدول الاوربية الكبرى ، بريطانيا وفرنسا والمانيا وروسيا ، تتصارع على امتلاك طرق المواصلات وموارد التجـارة في الخليج العربي والامبراطورية العثمانية ، أخذ عامل جديد بالظهور ، وراح يصبغ هذا الصراع بصبغته الخاصة • هذا العامل الجديد هو معرفة النفط واستعماله في الوقود بدلا من لفحم في السفن والقطارات والمحركات الاخرى

كان الاميرال اللورد فيشر قائد البحرية البريطانية أول من كشف سنة ١٨٨٢م ان في الامكان استعمال النفط في تسيير البواخر ، وان ذلك من شأنه ان يضاعف من أهمية الاسطول البريطاني ويزيد من قوته بمقدار الثـلث ولهذا السبب كان اللورد فيشر يدعو الانكليز دائما قائلاً « استعدوا لحـرب النفـط ! »

وكانت الولايات المتحدة الامريكية قد عرفت النفط ، واستخرجته من باطن الارض ، واستخدمته في الوقود قبل غيرها من البلدان الاخرى فـي العالم • ففي سنة ١٨٦٢م أسس جون دافيسون روكفلر أول شركة للنفـط

في العالم كله برأسمال قدره مليون دولار • وفي سنة ١٨٩٠م تأسست في لاهاي شركة النفط الملكية الهولندية برأسمال قدره مليون وثلاثمائة ألف فلورين وذلك لاستغلال البترول في جزر الهند الهولندية ، أي اندونوسيا • وقد عرفت هذه الشركة مؤخرا باسم شركة « شل » •

اما الانكليز فقد دخلوا ميدان النفط متأخرين حيث اسسوا أول شركة لهم سنة ١٩٠٢م وهي شركة نفط بورما لاستثمار النفط في برما وآسام •

ومع ذلك فقد كان الالمان اسبق من غيرهم في التنقيب عن النفط في الشرق الاوسط وفي العراق بالذات فقد استغلوا تقاربهم مع الحكومة العثمانية فشرعوا يرسلون البعثات والمستكشفين بحثا عن النفط والمعادن في تركيا والبلاد التابعة لها •

ففي سنة ١٨٤٦م اكتشف المهندس الالماني الدكتور روورباخ بئر نفط في القيارة جنوبي الموصل • وفي سنة ١٨٧١م كشف الجيولوجي مايسنر آبار نفط في مندلي •

وفي الخامس من شهر رجب سنة ١٣٠٦ هجرية رومية ، اى سنة ١٨٨٩م أصدر السلطان عبدالحميد الثاني ارادة سنية (فرمان) حصر بها امتيازات التنقيب عن النفط في الامبراطورية العثمانية بخزانته الخاصة • ويذكر المستر « لونغريغ » صاحب المؤلفات الشهيرة عن العراق والبترول في الشرق الاوسط ، ان الوسيط الارمني المشهور «غلبنكيان» هو الذي حمل السلطان عبدالحميد على أن يضم جميع مناطق البترول في الامبراطورية العثمانية الى خزانته الخاصة وذلك على أساس التقارير السرية التي وضعها غلبنكيان عن النفط في تركيا الاسيوية ومنطقة الموصل •

وعندما كان التنافس على أشده بين بريطانيا وروسيا في ايران استطاع احد الجواسيس الانكليز ، وهو البارون جوليس رويتر ، ان يجوب مناطق ايران الشاسعة بحثا عن مصادر الثروة فيها • ولقد تمكن بدهائه وبالعلاقات الودية التي أقامها مع اركان الحكومة الايرانية ، ان يظفر منها بامتياز لمد سكة حديد تمتد من بحر قزوين حتى ساحل الخليج العربي • وعلاوة على ذلك منح البارون رويتر حق استثمار المعادن كالفحم والحديد والنحاس والنفط وغيرها في ايران بدون ان ينافسه في ذلك منافس آخر • وقد وقع على اتفاقية هذا الامتياز في الخامس والعشرين من شهر حزيران سنة ١٨٧٢م الحاج مرزا حسين خان رئيس الوزارة الايرانية والمستر « كوت »

مندوب البارون رويتر ، ثم اقترن توقيعها بمصادقة الشـــاه ناصرالدين عليها • ونصت الاتفاقية على أن تكون مدة الامتياز سبعين سنة •

غير ان الحكومة البريطانية لم تكترث كثيرا لهذا الامتياز الذي ناله أحد رعاياها النشطين لانها كانت متأكدة ان امتيازا كهذا لايمكن أن يدوم طويلا حتى ولو لم تقاومه روسيا • ولسنا نعرف سبب هذا الموقف الغريب الذي وقفته الحكومة البريطانية من امتياز رويتر ، ولا أن تفسر ابتهاج اللـــورد كرزن بالغاء الامتياز من قبل الشاه بدعوى ان ما انجز منه لا يتناسب مع المدة المقررة له • وقد أعرب اللورد كرزن عن موقفه هذا من المشروع حين قال « ما دام هدف السياسة البريطانية هو دعم ايران وتقويتها فانه ليسرنا ان نرى المشروع الذي كاد يشل حيويتها يتحطم وينهار » •

والحقيقة ان الروس هم الذين قاوموا امتياز البارون رويتر ، وهـم الذين أثاروا الشاه ضده • فحين كان الشاه ناصرالدين خارج ايـــران ، واعتقد في زيارة بريطانيا ، اعلن عن ندمه لمنح ذلك الامتياز فكتب بهـذا الى عمه الذي كان ينوب عنه في الحكم في ايران ، فاستغل عمه هذه الفرصـة وأثار التظاهرات الصاخبة ضد الشاه ناصرالدين في كل انحاء ايـــران ، وجعل المتظاهرين يشترطون الغاء لمتياز رويتر مقابل السماح للشاه ناصـر الدين بالعودة الى بلاده وعرشه وقد اغرى رجـــال الدين بالمـــال فاصدروا الفتاوى بتحريم السلع الاجنبية وهكذا تم الغاء الامتياز وقنع البارون رويتر من الغنيمة بحق انشاء مصرف مالي له في ايران •

وفي سنة ١٨٨٤م حصل شخص آخر يدعى (م• هوتز) على امتيـــاز بالتنقيب عن النفط في جزيرة قشم واسس لهذا الغرض شركة دعاها شركة التعاون الحقوقية • وقد حفرت هـــذه الشركة آبارا في منطقتي « دالكي » و « صالاخ » في جزيرة قشم على عمق مائتين وسبعين مترا • ولما لم تعثـر على النفط هناك انحلت والغي امتيازها •

وفي سنة ١٨٩٩م أقدم شاب انكليزي يدعى وليم نوكس دارسي عـــلى مغامرة عجيبة في سبيل البحث عن البترول في ايران والعراق • كان هـــذا الشاب قد هاجر من موطنه انكلترا الى استراليا وبعـــد ان جمع بعض المـال هناك وعاد الى انكلترا استهوته مغامرات البحث عن النفط ولاسيما بعد ان قرأ تقريرا للعالم الآثاري الفرنسي الشهير « مورغان » الذي اكتشف مسـلة حمورابي في انقاض مدينة « سوسة » بايران وذكر في تقريره ذاك وجـود

آثار للنفط في تلك الاصقاع • وبعد سفرة محفوفة بالاخطار الى شمالي ايران قام بها دارسي عاد الى بريطانيا واخذ يغري بعض الممولين الانكليز بالاسهام معه في هذه المغامرة غير ان احدا لم يأبه بمشروعاته تلك •

ورحل دارسي ثانية الى ايران وانشأ خطا حديديا صغيرا فيها در عليه بعض الربح فعاوده اذ ذاك هوسه القديم في البحث عن النفط ، واستطاع وهو في طهران ان يوثق علاقاته مع الشاه مظفرالدين وان يصور له مدى الثراء الذي سيحصل عليه من وراء الكشف عن الذهب الاسود في بلاده • واذذاك وافق الشاه على منحه امتيازا بالبحث عن النفط مقابل عشرين الف باون يدفعها دارسي الى الشاه ، وهكذا تم التوقيع على ذلك الامتياز الخطير في الثامن والعشرين من أيار سنة ١٩٠١ •

وبعد سنوات من البحث المضني وتأرجح بين اليأس والامل تفجر النفط في منطقة « تستر » (شنشتر) • وصقع العالم لدى سماعه ذلك النبأ الخطير وتسابق ملوك النفط في البحث عن دارسي ومراودته في بيع امتيازه او المشاركة فيه واخيرا استطاعت البحرية البريطانية عن طريق احد جواسيسها الذي تزيا بزي راهب ورافق دارسي في السفينة التي كانت تقله من ايران الى استراليا ، ان يخدع دارسي وينتزع منه الامتياز الخطير عن طريق تحويله الى احدى بعثات التبشير الموهومة التي يمثلها ذلك الراهب المزيف • وحين رست السفينة في ميناء نيويورك اسرع ذلك الراهب الى دائرة البرق ليطير البرقية التالية الى العاصمة البريطانية :

لندن ١٠ داوننغ ستريت
لاجل الامير تم التوفيق

سدني

وكان شرح هذه البرقية يعني « بلغوا امير البحرية البريطانية ان امتياز دارسي قد اصبح في حوزتها » اما ذلك الكاهن لمزيف فلم يكن سوى الجاسوس البريطاني اليهودي الاشهر « روزنبلوم » او المعروف باسم « سدني رايلى » •

وحين احتاجت شركة دارسي الى بعض المال سارعت الحكومة البريطانية الى مدها به لقاء شراء عدد كبير من اسهمها • وقد كشف النقاب فيما بعد ان السر ونستون تشرشل الذي تولى وزارة البحرية البريطانية

سنة ١٩١٢ كان قد سح شركة دارسي مليوني باون بصفة سرية • ولم تمض بضعة اشهر حتى اصبحت الحكومة البريطانية تمتلك اثنين وخمسين في المائة من مجموع اسهم شركة دارسي التي اصبحت تدعى (شركة النفط الانكليزية الفارسية) •

* * *

ومع ان الالمان كانوا اسبق من غيرهم في البحث عن النفط في تركيا والعراق الا ان الامريكيين كانوا اول الذين حاولوا الحصول على امتيازات بالتنقيب عن البترول في تركيا والاقطار التابعة لها • وهذا بحد ذاته يمثل مرحلة جديدة من مراحل الصراع على الخليج العربي بعد ان تبدلت صفة هذا الصراع في اوائل القرن العشرين واصبح الغرض منه السيطرة على منابع البترول فيه وليس احتكار اللؤلؤ وطرق المواصلات والتجارة فيه حسب •

كان الاميرال • كولبي جستر ــ وهـو من موظفي وزارة البحرية الامريكية اول الذين حاولوا الحصول على امتيازات للتنقيب عن البترول في العراق وذلك اثناء وجوده في الاستانة سنة ١٨٩٦ م •

كذلك حاول وليم دارسي في سنة ١٩٠٤ ان يحصل على امتياز بالبحث عن النفط في الامبراطورية العثمانية وكاد ينجح في ذلك لولا المعارضة التي اثارها الالمان ضده •

وحين حدث الانقلاب العسكري الذى قام به اعضاء جمعية الاتحاد والترقي بقيادة البطل العراقي الشهيد محمود شوكت باشا شقيق المرحوم حكمت سليمان ، ذلك الانقلاب الذى نعتقد ان الانكليز لعبوا دورا كبيرا في الاعداد له وانجاحه ، تنفس الانكليز الصعداء لان الاتحاديين فتحوا المجالات الواسعة امام بريطانيا للظفر بامتيازات عديدة في الاراضى التركية ومنها البحث عن النفط حيث تم في سنة ١٩١٠ م تأسيس البنك العثماني برؤوس اموال انكليزية ليقوم بهذه المهمة •

وقد توحدت المصالح الانكليزية والالمانية بوجه المنافسة الامريكية حيث تم تأسيس شركة الامتيازات الافريقية الشرقية برأسمال قدره خمسون الف دينار • وكان التنقيب عن النفط من الامتيازات التي ظفرت بها هذه الشركة من الحكومة التركية سنة ١٩١١ م وما لبثت بعد ذلك ان غيرت اسمها الى « شركة النفط التركية » وحصل البنك الالماني على خمسة

وعشرين في المائة من اسهمها • ومنح غلبنكيان خمسة في المائة من الاسـهم تقديرا لجهوده في حمل الحكومة التركية على منــح امتياز البترول الى الشركة المذكورة • اما بقية الاسهم فقد ذهبت الى الشركات الانكليزية • والفرنسية وبهذه الوسيلة نال الانكليز حصة الاسد من نفط العراق بعد ان احتكروا وحدهم نفط ايران حتى سنة ١٩٥٣ •

* * *

كانت البحرين ثاني بلد عربي بعد العراق واولى بلدان الخليج الذى اتجهت انظار شركات النفط الاحتكارية اليه • ففي سنة ١٩١٤م اعطـى شيخ البحرين تعهداً الى بريطانيا بان لا يستثمر هو بنفسه اي حقل للنفط في بلاده ولن يسمح الغير بريطانيا بذلك ايضا • وقد ورد هذا التعهد في صورة كتاب وجهه شيخ البحرين عيسى بن خليفة الى المقيم البريطاني في بوشهر انذاك السر برس كوكس •

وفي اواخر الحرب العالمية الاولى ظهر فرنك هولمز على مسرح النفط في الخليج العربي وكان هذا الرجل في الاصل مهندسا انكليزيا عمل في مناجم الذهب بنيوزيلندا والمكسيك ثم عاد الى بريطانيا والتحــق بالبحريــة البريطانية ووصل الى رتبة مقدم • وما لبثت احلام الشرق والنفط ان راودته فاقنع بعض اصدقائه من المهندسين في لندن بانشاء شركة في سنة ١٩٢٠ م باسم « الشركة الشرقية العامة » • وكان من بين آمال هذه الشركة ان تحصل على امتيازات بالتنقيب عن النفط في الشرق •

وفي عام ١٩٢١ رحل هولمز الى الخليج العربي واستغل وجود الامير عبدالعزيز بن سعود في مؤتمر العقير الذي عقده السر برس كوكس لتسوية الحدود بين العراق ونجد والكويت فعرض هولمز على ابن السعود ان يمنحه اذنا بالتنقيب عن النفط في نجد لكن السر برس كوكس نصح ابن السعود ان يرفض هذا العرض • وفي سنة ١٩٢٥ استطاع هولمز ان يقنع ابن السعود بمنحه امتيازا للبحث عن البترول ، كما حصل على وعود بامتيازات مماثلـة من شيخ البحرين ومن شيخ الكويت • وقد عرض هولمز تلك الامتيازات على المولين الانكليز في لندن فاغربوا عنها ولم تقبل بالاشترك فيهـا أو شرائها حتى شركة شل البريطانية وشركة النفط الانكليزية الفارسية واذاك رحل هولمز الى امريكا فباع امتيازاته تلك الى شركة الخليج الامريكية والتي باعته بدورها الى شركة ستاندرد أويل أوف كاليفورنيا ثم انتقل في النهاية

الى شركة « سوكال » الامريكية في الحادي والعشرين من كانون الاول سنة ١٩٢٨ ٠

وما ان علمت بريطانيا بالامر مؤخرا حتى طلبت ان يحصر امتياز النفط في البحرين باسم شركة بريطانية وحدها ٠ وبعد مداولات بين الحكومتين الامريكية والبريطانية تقرر ان يتم تسجيل الشركة في كندا باسم الامريكان وان تكون ادارتها بيد الانكليز ٠ وهكذا كسبت أمريكا الجولة الثانية في صراع البترول في الشرق الاوسط فأصبح نفط البحرين خالصا لها كله ٠ وقد بوشر بالحفر في منطقة العوالي في تشرين اول ١٩٣١ وفي ٣١ ايار ١٩٣٢ تدفق النفط من بئر يزيد عمقه على الفي قدم ٠

وانتقل الصراع على النفط بين الشركات الامريكية والانكليزية الى السعودية أيضا ٠

كان أمير نجد عبدالعزيز بن سعود قد منح الانكليز سنة ١٩١٥ حق الاعتراض من قبلهم على أي امتياز للتنقيب عن النفط في بلاده يمنحه الى أية جهة غير بريطانية ٠ وقد استطاع فرنك هولمز ان يحصل في ايار سنة ١٩٢٣ على اجازة من ابن السعود بالبحث عن البترول في بلاده مقابل مبلغ سنوي وان تتجدد هذه الاجازة كل سنتين ٠ وارسلت شركة هولمز احد المهندسين السويديين فقامت بالبحث عن النفط في المنطقتين الشرقية والشرقية الشمالية أي الاحساء ٠ وفي سنة ١٩٢٧ وقع ابن سعود أول معاهدة له مع بريطانيا وبموجبها الغى حق بريطانيا في الاعتراض على منح امتيازات النفط في بلاده ٠ ولما كانت شركة هولمز قد اخفقت في العثور على النفط فقد اشترت شركة سوكال الامريكية حق الامتياز منها أيضا ٠ كما انسحبت شركة نفط البحر الاحمر ـ وهي فرع من شركة النفط المصرية الانكليزية ـ من الميدان أيضا سنة ١٩٢٩ بعد ان اخفقت في العثور على النفط ٠

وبفضل الدور الهام الذي لعبه جون فلبى الذي اشتهر باسم الحاج عبدالله فلبى منح امتياز النفط في السعودية سنة ١٩٣٣ الى شركة سوكال الامريكية وهكذا استأثرت امريكا وحدها بنفط السعودية منذ ذلك الوقت ٠

وكانت شركة النفط الفارسية الانكليزية أول من فكر بالتنقيب عن النفط في الكويت وقد ارسلت في سنة ١٩١٧ مهندسين عنها للبحث

عن النفط في القرب من امديرة وتامرون •

واستطاع فرنك هولمز رغم تحذيرات السر برس كوكس ومنافسة شركة النفط الفارسية الانكليزية ان يحصل من الشيخ أحمد الصباح حاكم الكويت في سنة ١٩٢٢ على امتياز بالبحث عن النفط في المنطقة المحايدة وحدها وما لبث ان حول ذلك الامتياز الى شركة الخليج الامريكية •

وبعد مماحكات بين الانكليز والامريكان استمرت سنوات عديدة تم الاتفاق في ١٣ كانون اول سنة ١٩٣٣ على انشاء شركة انكلو امريكية للبحث عن النفط في الكويت وفي ٢٣ كانون اول ١٩٣٤ وقعت هذه الشركة ، شركة نفط الكويت ، على اتفاقية الامتياز مع شيخ الكويت أحمد جابر الصباح وجعلت مدة الامتياز خمسا وسبعين سنة •

وفي أوائل سنة ١٩٣٦ ارسلت شركة النفط الانكليزية الفارسية بعثة خاصة الى مناطق وامارات الخليج برئاسة وليم ريتشارد وليمسن المشهور باسم الحاج عبدالله وليمسن في العراق خلال الحربين العالميتين • وقد استطاعت هذه البعثة ان تربط شيوخ قطر وابى ظبى ودبى ورأس الخيمة ومسقط والشارقة وظفار باتفاقيات حول احتكار حقول النفط فيها •

لكن الذى حدث هو ان شركة نفط العراق وليست شركة النفط الفارسية الانكليزية هي التي استطاعت في النهاية ان تظفر بامتيازات النفط في كل من قطر وابى ظبى •

وكانت اليمن من الاماكن الاولى التي بوشر بالتحري عن النفط فيها فمنذ سنة ١٩٢٣ سمح لبعض الجيولوجيين الامريكان باجراء مسح نفطي في ذلك البلد • وتجددت هذه المحاولات مرات عديدة في السنوات التي سبقت الحرب العالمية الثانية وما بعدها غير ان احدا لم يعثر على النفط في اليمن لان الامام يحي حميدالدين ومن بعده ولده أحمد ، لم يسمحا بوجود بعثات تقوم بالتنقيب عن هذه المادة هناك •

وفي ذات الفترة تقريبا ، أي سنة ١٩٢٣ قامت احدى فروع شركة شل البريطانية بالتحرى عن النفط في امارة عسير ، كما حصلت ذات الشركة في سنة ١٩٢٩ على امتياز للنفط في سلطنة شحر الواقعة شرقى عدن • وظلت مسودات اتفاقية الامتياز يجري تبادلها ثلاث سنوات حيث

عرضت في النهـاية على شركة نفط العراق لـكن هذه لم تحفل بها في تلك الايام ٠

وفي سنتى ١٩٢٤ و١٩٢٥ قامت شركة النفط الانكليزية الايرانية بالتنقيب عن النفط في عمان لكن النفط لم يتدفـــق في تلك الامارة الا في سنة ١٩٦٤ ٠

وفي ابى ظبى احتكرت شركة نفط العراق كل امتيازات النفط وبوشر بالحفر في جزيرة « داس » حيث تدفق النفط فيها بغزارة سنة ١٩٥٨ ، كما تقـوم الآن شركة بريطانية فرنسية مشتركة بالبحث عن النفط في مياه ابى ظبى ٠

لقد تتابع تنافس الانكليز والامريكان بصفة خاصـة على النفط في الاجزاء الباقية من الخليج العربي وقد انتقل هذا التنافس الآن الى المياه أيضا ٠ فبالاضافة الى وجود شـــركات امريكيـــة وايطاليـــة ويابانيـــة تنقب عن النفط في المنطقة المحايدة بين السعودية والكويت في الوقت الحاضر تقوم شركتان بريطانية وفرنسية بالتعاون في التنقيب عن النفط في مياه ابى ظبى ودبى ٠ كما تقوم احدى شركات شل بالبحث عن النفط في مياه قطر والساحل السعودي على البحر الاحمر ، وشركات امريكية في ميـاه الاحساء ، وشركات بريطانية وامريكية في مياه مسقط وعمان فضلا عن سواحل البحـرين والكويت وشط العـرب ٠ فبعـد ان اقتسم الانكليز والامريكان فيما بينهم كل موارد النفط التي اكتشفت حتى الآن في بر الخليج العربي عادوا الى احتكار هذه الموارد في مياهه أيضا ٠

★ ★ ★

ان الخليج العربي الذي كان يؤلف مخزن العالم من اللؤلؤ حتـــى بداية القرن العشرين ، ويعد اقصر طريق بين اوربا والهند ، وكان مفتاح الحملات العسكرية والتجارية الى الشرق كله ، ان هذا الخليج غدا اليوم من اعظم مخازن العالم للنفط والغاز وراح يتحكم بهذه الصناعة الخطيرة تحكما اساسيا ٠

ان اغلاق الخليج العربي في اوقات الازمات الدولية فيما مضى ، أو عند ظهور فوران شعبي في احدى مناطقه ما كان ليؤثر تأثيرا أساسيا في ميادين القتال في الشرق ٠ اما اليوم فان ايقاف تدفق النفط في الكويت أو البحرين أو السعودية من هناك الى اوربا ـ ولو لاسابيع قليلة جدا ـ

يجعلها تقف على حافة الهاوية فيهدد مصانعها بالدمار وجيوشها واساطيلها بالهزيمة بل ويقضى على حياة الملايين من سكانها قضاء مبرما في فصل الشتاء •

ان القواعد العسكرية التي أنشأتها بريطانيا قبلا في كل جزء من أجزاء الخليج لتحمى بها الطريق الى الهند والشرق ، ان هذه القواعد قد تحولت الآن الى مراكز قوية لحماية النفط وتامين تدفقه الى اوربا والعالم • كما ان وجود الاسطول الامريكي السادس في مياه البحر الابيض المتوسط بصورة دائمة وزياراته « الودية !! » التي يقوم بها لبعض الموانيء العربية بين فترة وأخرى ، انما يقصد من ورائه حماية الشركات الامريكية التي تستغل النفط العربي وترسم سياسة امريكا في العالم العربي كله • وحتى الاتفاقات والمعاهدات التي ربطت بها بريطانيا شيوخ الخليج العربي وسلاطينه منذ أكثر من قرن ونصف لتؤمن بها سلامة طريقها الى الهند والشرق ، حتى هذه المعاهدات قد تغيرت مهمتها فاصبح القصد منها حماية النفط العربي والشركات الاجنبية التي تحتكره •

لقد اصبح الخليج العربي الآن بحق خليج النفط والغاز بعد ان كان خليج اللؤلؤ والقرصنة • وبعد ان ظل الاف السنين مسرحا للصراع بين اعظم الامبراطوريات التي ظهرت على وجه الارض غدا الآن ميدانا الصراع بين امبراطوريتين نشأتها من أصل واحد هما بريطانيا وامريكا وكانت ثانيتهما مستعمرة ذليلة للاولى فاذا بها الآن تتولى زعامة العالم الخارج عن النطاق الشيوعي كله ، وتتحكم بالسياسة الدولية كلها وتمد نفوذها واستعمارها المستتر حتى الى الاجزاء التي تحررت من الاستعمار الاوربي القديم •

ملحق

اتفاقات ومعاهدات الخليج العربي

١ ـ المعاهدة العامة بين الحكومة البريطانية وشيوخ الخليج العربي

في كانـــون الثاني ١٨٢٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الامان نعمة للعاطلين ، لقد تم عقد السلام بـــين الحكومة البريطانية والقبائل العربية المشتركة في هذا الاتفـــاق حســـب الشروط التالية :

المادة الاولى : يتوقف النهب والقرصنة برا وبحرا الى الابد من جانب العرب المشتركين في هذا لاتفاق ٠

المادة الثانية : اذا هاجم أي فرد من العرب المتعاقدين مسافرا ما برا او بحرا مهما كانت جنسيته بقصد النهب والقرصنة في غير ما حرب معترف بها نستعيد عدوا للنوع الانساني وسيعتبر كأنما أبيح ماله ٠ ان الحرب المعترف بها هي التي يتم اعلانها جهارا وتشنها حكومة ضد حكومة اخرى ٠ ان قتل الناس وسلب اموالهم بدون اعلان صريح من حكومة ما او اوامر منها، هو نهب وقرصنة ٠

المادة الثالثة : يحمل العرب المتصالحون (اثناء السفر) في البر او البحر علما احمر ولهم الخيار ابن يحمل هذا العلم شيئا من الكتابة أم لا ، ضمن حاشية بيضاء ويكون عرض البياض في الحاشية مساويا لعرض الاحمر كما يظهر لنا الهامش ويؤلف مجموع الابيض والاحمر العلم المعروف لدى البحرية البريطانية باسم بياض تتوسطه حمرة وهذا سيكون علم العرب المتصالحين دون غــيره ٠

المادة الرابعة : ان القبائل العربية المتصالحة ستستمر في علاقاتهـــا السابقة مع بعضها الا أنها ستكون في صلح مع الحكومة البريطانية وانها لن تحارب بعضها بعضا وان العلم سيكون رمزا لهذا لا أكثر من ذلك ٠

المادة الخامسة : ان سفن العرب المتصالحين جميعها ستحمل معها ورقة « سجلا » تحمل توقيع الشيخ وتحتوي على اسم السفينة وطولها وعرضـــها وكم طنا حمولتها وكذلك سيكون عندها وثيقة أخرى (رخصة من ســـلطة الميناء) تحمل توقيع الشيخ وتحتوي على اسم المالك واسم النوخذة وعـــدد

الرجال والسلاح ومن اين ابحرت ووقت ابحارها والميناء المتوجهة اليه واذا واجهت هذه السفن سفينة بريطانية فسيقدمون لها السجل والرخصة ٠

المادة السادسة : من الممكن للعرب المتصالحين اذا أرادوا ارسال مندوب الى دار المقيم السياسي في الخليج مع ما يلزم من الوسائل ويبقى هناك للقيام بأعمالهم مع دار المقيم السياسي وللحكومة البريطانية اذا شاءت ارسال مندوب عنها اليهم على نفس المنوال وسيضيف المندوب توقيعه الى توقيع الشيخ في الورقة (السجل) التي لسفنهم والتي تحتوي على طول السفينة وعرضها وحمولتها بالاطنان ويجب ان يجدد توقيع المندوب سنويا ٠ هذا وسيكون جميع هؤلاء ـ المندوبون على نفقة الطرف الذي ينتمون اليه ٠

المادة السابعة : اذا لم تتوقف اية قبيلة أو جماعة عن النهب والقرصنة فان جميع العرب المتصالحين سيعملون ضدها حسب طاقاتهم وظروفهم وسيجري اتفاق بهذا الخصوص بين العرب المتصالحين والبريطانيين عندما يحدث مثل هذا النهب والقرصنة ٠

المادة الثامنة : ان اعدام الناس بعد تسليم اسلحتهم هو عمل من أعمال القرصنة وليس من أعمال الحرب المعترف بها فاذا قامت قبيلة باعدام جماعة ما سواء كانوا مسلحين أو غير مسلحين بعد أن يكونوا قد سلموا اسلحتهم فستعتبر مثل هذه القبيلة قد خرقت الامن وسيشترك العرب المتصالحون في العمل ضدها مع الانكليز واذا أراد الله فأن الحرب ضدها لن تتوقف حتى يجرى تسليم أولئك الذين ارتكبوا تلك الفعلة والذين أمروا بها٠

المادة التاسعة : ان حمل الرقيق سواء كانوا رجالا أم نساء أم أطفالا من سواحل أفريقيا أو غيرها ونقلهم في السفن هو نهب وقرصنة ٠ ان العرب المتصالحين لن يقوموا بعمل من هذا القبيل ٠

المادة العاشرة : لسفن العرب المتصالحين التي تحمل العلم الآنف الذكر ان تدخل الموانيء البريطانية وموانيء حلفاء البريطانيين ما دامت تستطيع الدخول ولها ان تبيع وتشتري هناك فاذا هاجمها مهاجم فان الحكومة البريطانية ستهتم بهذا الامر ٠

المادة الحادية عشر : ان الشروط المتقدمة ستكون مشاعة لجميع القبائل والاشخاص الذين يتمسكون بها فيما بعد على هذه الصورة ٠

حررت في رأس الخيمة في ثلاث نسخ ظهر السبت الثاني والعشرين من

شهر ربيع الاول ١٢٣٥ هجرية الموافق ٨ كانون الثاني ١٨٢٠ ميلادية ووقع عليها المتعاقدون في الامكنة والتواريخ التالية :

وقعت في رأس الخيمة عقب تحريرها ٠

الجنرال وليم غبرانت كير
حسن بن رحمة
شيخ (؟) سابقا شيخ رأس الخيمة
رجب بن احمد شيخ جزيرة الحمراء ٠
جي ٠ بي ثومبسون ــ كابتن

وقعت في رأس الخيمة يوم الثلاثاء ٢٥ من شهر ربيع الاول ١٢٣٥ هجرية الموافق ١١ كانون ثاني لسنة ١٨٢٠م

شخبوط شيخ بو ظبي

وقعت في رأس الخيمة ظهر السبت ٢٩ ربيع الاول ١٢٣٥ هجرية الموافق ١٥ كانون ثاني لسنة ١٨٢٠

حسن بن علي شيخ زبارة ٠

نسخة من المعاهدة العامة مع العرب المتصالحين تحمل توقيعات الذين اشتركوا فيها حتى ١٥ كانون الثاني ١٨٢٠ وقد قدمت موقعة بامضائهم وختمهم ٠

صدقت من قبل الحاكم العام في ٢ نيسان ١٨٢٠

وقعت في الشارقة عن محمد بن هزاع شيخ دبي يوم الجمعة ٢٠ ربيع الاول ١٢٣٥ الموافق ٢٨ يناير ١٨٢٠ ٠

سعيد بن يوسف ــ عم شيخ محمد

٢ ــ تعهد من الشيخ محمد بن خليفة شيخ البحرين للحكومة البريطانية بخصوص تجارة الرقيق

لقد ابلغني الميجر هينل المقيم السياسي في الخليج العربي ان صاحب السمو امام مسقط وغيره من الدول قد عقدوا مؤخرا بعض الاتفاقات مع الحكومة البريطانية ترمي الى تحريم تصدير الرقيق من السواحل الافريقية وغيرها وفضلا عن ذلك فقد أوضح لي أن معاونة شيوخ المواني المختلفة

الواقعة على السواحل العربية في الخليج العربي ملزمة كي يتسنى تحقيق الاهداف التي ترمي اليها الاتفاقات المذكورة تحقيقا تاما • ولذلك فأني أنا الشيخ محمد بن خليفة شيخ البحرين كما اعزز من روابط الصداقة القائمة بيني وبين الحكومة البريطانية بهذا أتعهد ان احرم تصدير الرفيق من سواحل افريقيا وغيرها على سفني وسفن رعيتي أو من يتعلق بهم ويسرى هذا التحريم ابتداء من ١ محرم ١٢٦٧هـ (أو ١٠ كانون الاول ١٨٤٧م) •

وكذلك أوافق على أنه متى صادفت الطرادات البريطانية بعض سفني أو سفن رعيتي أو من يتعلق بهم ويشتبه انها تمارس تجارة الرقيق فلها أن توقف تلك السفن وتفتشها وفي حالة وجود بعض السفن الآنفة الذكر مخلة بهذه الاتفاقية بتصدير الرقيق من سواحل أفريقيا أو غيرها مهما كان عذرها فلها (أي طرادات الحكومة البريطانية) ان تصادر تلك السفن مؤرخ ٢٣ جمادي الاولى ١٢٦٣ أو ٨ مايس ١٨٤٧ •

وقع مثل هذه الاتفاقية الشيخ سلطان بن صقر شيخ الشارقة في ١٤ جمادي الاولى ١٢٦٣ الموافق ٣٠ نيسان ١٨٤٧ •

والشيخ عبدالعزيز ـ شيخ عجمان في ١٥ جمادي الاولى ١٢٦٣ الموافق ١ مايس ١٨٤٧ •

والشيخ عبدالله بن راشد ـ شيخ أم القوين في ١٥ جمادي الاولى ١٢٦٣ ـ ١ مايس ١٨٤٧ •

والشيخ سعيد بن طنحون ـ شيخ أبي ظبي في ١٢ جمادي الاولى

٣ ـ تعهد شيخ البحرين سنة ١٨٦٨

نحن الموقعون ادناه علي بن خليفة وسكان ورعايا البحرين عموما بهذا نصرح ان محمد بن خليفة بما أنه ارتكب مرارا وتكرارا أعمال القرصنة وغيرها من الاخلال بالامن وبما انه قد فر الان بعد عمله القرصني الاخير من البحرين فقد فقد جميع حقه في لقبه كشيخ البحرين الاول ورئيسها وبما انه ليس للبحرين شيخ في الوقت الحاضر فانى أنا الشيخ علي بن خليفة قد استلمت كتاب المقيم السياسى الموجه الى محمد بن خليفة وفهمت المطاليب التي فيه وبهذه الاتفاقية اوافق على قبول الشروط التالية :ـ

اولا : ان اقدم غدا صباحا ١٩ جمادي الاول١٢٨٥ (٧ أيلول ١٨٦٨) الى سامي المقام القبطان القبطان براون قائد سفن صاحبة الجلالة جميع البغلات والتباتيل (نوعان من السفن) العائدة لي والى محمد خليفة .
ثانيا : ان ادفع الى المقيم السياسى مبلغ لك (مائة الف) ريال على الصفة التالية ٢٥٠٠٠ ريال نقدا تدفع فورا .
٧٥٠٠٠ ريال على ثلاثة اقساط سنوية كل قسط منها ٢٥٠٠٠ يدفع في ٨ أيلول من كل سنة تالية حتى يتم دفع المبلغ كله .
ثالثا : ان اعتبر محمد بن خليفة مبعدا نهائيا عن التدخل في شؤون البحرين وانه لاحق له في تلك البلاد وفي حالة عودته الى البحرين اتعهدأن القى القبض عليه وان اسلمه الى المقيم السياسى واذا لم اعمل بمقتضى الشروط المتفق عليها الان فاعتبر ترصانا كمحمد بن خليفة نفسه .
رابعا : بقصد المحافظة على الامن في البحرين والحيلولة دون حدوث اضطرابات اخرى ولكي ابلغ المقيم السياسى بما حدث اتعهد ان اعين وكيلا عني في أبي شهر . كتبت في ١٨ جمادي الاولى ١٢٨٥هـ - ٦ ايلول ١٨٦٨.

٤

قولنامة(١) NOTE VERBALE **من امام مسقط في سنة ١٧٩٨**

وثيقة اتفاق من ولاية الملاذ العماني تحت اشراف الامام المدير سيد سلطان دام أمره . الى الشركة السامية المقتدرة دامت عظمتها مضمنة في المواد التالية :

مادة (١)

من وقت وصول كتاب اتماندي الدولة ميرزا مهدي على خان بهادور جونج لايجوز الانحراف عن هذه القومنامة .

مادة (٢)

من وقت قراءة الكتاب المذكور أخذ قلبي يميل الى توثيق الصداقة مع تلك الدولة ومنذ هذا اليوم سيصبح صديق أحدنا الاخر وعدوه عدوه ..

مادة (٣)

ونظرا الى ان طلبات مختلفة قدمت ولا تزال تقدم من قبل الفرنسيين

(١) قولنامه يقصد بها « معاهدة » باللغة الانكليزية .

والهولنديين لاقامة مصنع او بعبارة اخرى ليركزوا أنفسهم أما في مسقط أو في جومبردم أو في المواني الاخرى • لهذا السركار فقد كتبت على نفسي انه طالما الحرب مستمرة بين الشركة الانكليزية وبينهم فلن اعطي لهم مكانا في أراضي ما رعاية مني لصداقة الشركة ولن يجدوا لانفسهم فيها موضعا لقدم •

مادة (٤)

وبما أن هناك شخصا فرنسيا ظل السنوات العديدة الماضية يعمل في خدمتي وقد ذهب الان على رأس احدى سفني الى جزائر الموريشيوس فانني سأفصله من خدمتي بمجرد عودته واطرده من بلدى •

مادة (٥)

في حالة دخول احدى السفن الفرنسية مياه مسقط فلن يسمح لها بالدخول الى المرفأ الذى يسمح للقوارب الانكليزية بدخوله بل تبقى خارجه ، وفي حالة وقوع اعتداء في هذه الجهة بين السفن الفرنسية ، والسفن الانكليزية فان قوة هذه الولاية في البر والبحر وكذلك شعبي سيشتركون فيه الى جانب الانكليز فأما في البحار المكشوفة فانني لا اتدخل •

مادة (٦)

في حالة غرق سفينة أو سفن تابعة للانكليز فأنها تلقى حتما المساعدة اللازمة وتتوفر لها وسائل الراحة من جانب هذه الحكومة كما أن ما عليها من متاع لا يغتصب ولا يستولى عليه •

مادة (٧)

اذا رغب الانكليز في اى وقت في انشاء مضنع بميناء أباسى (بجومبردم) فلا اعتراض لي على تحصينهم لهذا الميناء ، ووضع المدافع بقدر ما يتراءى لهم ولا اعتراض على اقامة اربعين او خمسين رجلا انكليزيا هناك ، ومعهم سبعمائة او ثمانمائة جندى من الهنود • أما فيما عدا ذلك فان الرسوم التي تجبى على البضائع عند البيع والشراء ستكون في نفس المستوى المعمول به في البصرة وابو شهر •

حرر في أول جمادى الاول سنة ١٢١٣ هجرية الموافق ١٢ اكتوبر سنة ١٧٩٨

٥

اتفاقية معقودة من جانب امام ولاية عمان مع الكابتن جون مالكولم بهادور ـ رسول الرايت اونورابل الحاكم العام مؤرخــة في ٢١ شعبان سنة ١٢١٣هـ ـ المــوافق ١٨ يناير سنة ١٨٠٠

مادة (١)

تبقى القولنامة التي اتفق عليها مع امام عمان مع مهدي على خان بهادور نافذة المفعول دون تغيير .

مادة (٢)

بالنظر الى ان تقارير سيئة تهدف الى تعكير التفاهم القائم ، والى خلق جو من سوء التفاهم بين الولايتين ، قد ذاعت في خارج البلاد ووصلت الى سمع الرايت اونورابل الحاكم العام ايرل اوف مورنجتون

فاننا رغبة منا في منع مثل هذه المساوىء في المستقبل . تحدونا الى ذلك عواطف الصداقة المتبادلة ، نوافق على ان يبقى واحد من أفاضل الانكليز ومن ذوي المكانة بينهم مقيما في ميناء مسقط بصفة مستديمة نيابة عن الشركة الموقرة تجري عن طريقه جميع المعاملات بين الولايتين حتى تعرض أعمال كل حكومة عرضا عادلا منصفا ، وحتى لا تتاح فرصة لذوي الاغراض الذين لا هم لهم الا بذر بذور الفرقة ، وتبقى الصداقة بين الولايتين ثابتة غير مضطربة حتى يوم الدين ، والى ان تكف الشمس والقمر عن الدوران.

ختم بحضوري

جون مالكولم

المندوب

وافق عليه الحاكم العام وهو بمجلسه في ٢٦ أبريل سنة ١٨٠٠

٦

معاهدة تجارية بين صاحبة الجلالة ملكة المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وايرلندا ، وبين صاحب السمو سلطان سيد سعيد بن سلطان ـ امام مسقط في عام ١٨٣٩

مقــدمة

لما كانت صاحبة الجلالة ملـكة المملـكة المتحدة لبريطـانيا العظمى

وايرلندا وصاحب السمو سلطان مسقط وملحقاتها حريصين على توكيد حسن التفاهم الذي يقوم الان بينهما ولما كان سمو سلطان مسقط راغبا فوق ذلك في ان يسجل في صورة ذات طابع رسمي أقوى الارتباطات السابقة التي تعهد بها سموه في ١٠ سبتمبر سنة ١٨٢٢ بشأن الغاء تجارة الرقيق الغاء مستديما بين ممتلكات سموه ، وبين جميع الشعوب المسيحية • فقد عينا كوزراء مفوضين عنهما كلا من السيد روبرت كوجان ـ الكابتن في الخدمة البحرية في شركة الهند الشرقية ، نيابة عن صاحبة الجلالة ملكة المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وايرلندا ••الخ وحسين بن ابراهيم وعلى بن ناصر ـ نيابة عن سمو سلطان مسقط الخ •• وبعد أن تبادل هؤلاء أوراق اعتمادهم ووجدوها مستكملة اتفقوا على المواد الاتية وتعاهدوا عليها •

مادة (١)

يكون لرعايا صاحب السمو سلطان مسقط حرية الدخول والاقامة والتجارة وحمل بضائعهم في جميع ممتلكات صاحبة الجلالة البريطانية في اوروبا وفي اسيا ويكون لهم حق التمتع في هذه الممتلكات في شؤونهم التجارية وغيرها بجميع الامتيازات والمزايا الممنوحة أو التي تمنح لرعايا او مواطني الشعوب الاكثر رعاية • ويكون لرعايا صاحبة الجلالة البريطانية كذلك مطلق الحرية في الدخول والاقامة والتجارة والمرور ،وحمل بضائعهم في جميع انحاء ممتلكات صاحب السمو سلطان مسقط ـ ويكون لهم حق التمتع في هذه الممتلكات : في شؤونهم التجارية وغيرها بجميع الامتيازات والمزايا الممنوحة او التي قد تمنح لرعايا او مواطني الشعوب الاكثر رعاية •

مادة (٢)

يكون للرعايا البريطانيين الحرية في أن يبيعوا ، ويشتروا ويستأجروا ممتلكات صاحب السمو سلطان مسقط •

ولا يجوز الدخول عنوة الى المنازل ، والمخازن ، أو غيرها من المباني التابعة لرعايا بريطانيين ، أو لاشخاص في خدمة الرعايا البريطانيين فعلا ـ داخل ممتلكات صاحب السمو سلطان مسقط ، ولا يجوز تفتيشها بأي عذر دون موافقة شاغليها الا ان يكون ذلك بعلم القنصل ، أو الوكيل البريطاني المقيم • وعلى القنصل أو الوكيل المقيم في هذه الحالة عند وجود

أسباب مقنعة تقدمها سلطات صاحب السمو سلطان مسقط ان يرسل شخصا مسؤلا يشترك مع موظفي صاحب السمو سلطان مسقط في أعمال التفتيش ، ويمنع استعمال العنف في غير ضرورة ويحول دون كل مقاومة غير مشروعة •

مادة (٣)

يعترف الطرفان المتعاقدان ـ كل منهما للاخر ـ بحقه في تعيين قناصل يقيمون في ممتلكات الاخر • كلما اقتضت مصالح التجارة وجود مثل هؤلاء الموظفين ويكون هؤلاء القناصل في جميع الاوقات ـ في البلد الذي يقيمون فيه ـ في مصاف قناصل الامم الاكثر رعاية •

وكذلك يوافق كل من الطرفين الساميين المتعاقدين على ان يسمح لرعاياه بأن يعينوا قناصل الطرف الاخر بشرط ان لايزاول الاشخاص الذين يعينون في هذه الوظائف أعمالهم الا بموافقة سابقة من صاحب السلطان الذي يتبعه هؤلاء الاشخاص •

ويتمتع الموظفون العموميون في أي من الحكومتين ـ المقيمون في ممتلكات الحكومة الاخرى ـ بنفس الامتيازات والحصانات والاعفاءات التي يتمتع بها في نفس هذه الممتلكات ـ نظائرهم من الموظفين العموميين التابعين للدول الاخرى •

مادة (٤)

رعايا صاحب السمو سلطان مسقط الذين يعملون فعلا في خدمة رعايا بريطانيين في ممتلكات سموه يتمتعون بنفس الحماية الممنوحة لرعايا البريطانيين أنفسهم • على انه اذا حكم على أحد من رعايا صاحب السمو سلطان مسقط هؤلاء لجناية ارتكبها أو لمخالفة للقانون تقتضي العقاب • فان على الرعايا البريطانيين الذين يعمل هؤلاء في خدمتهم أن يفصلوهم من خدمتهم ويسلموهم لسلطات صاحب السمو سلطان مسقط •

مادة (٥)

لا تتدخل سلطات صاحب السمو سلطان مسقط في المنازعات التي تقوم بين رعايا بريطانيين او بين رعايا بريطانيين ورعايا او مواطنين تابعين لشعوب مسيحية اخرى •

وفي حالة قيام خلافات بين احد رعايا ممتلكات صاحب السمو سلطان مسقط واحد الرعايا البريطانيين تسمع الدعوى امام القنصل البريطاني

أو الوكيل المقيم اذا كان الطرف الاول هو المدعي كي يقضي بينهما اما اذا كان المدعي من الرعايا البريطانيين وكانت دعواه ضد واحد من رعايا سمو سلطان مسقط أو ضد احد رعايا دولة اسلامية اخرى فتتولى الفصل بينهما اعلى سلطة من قبل سلطان مسقط او من يرشحهم سموه لذلك ٠ وفي جميع مثل هذه الحالات لا تسير اجراءات المحاكم الا بحضور القنصل البريطاني او الوكيل المقيم أو مندوب عن احدهما يذهب الى دار القضاء أو الى حيث يكون التقاضي في هذه المسألة ٠

وفي الدعاوي التي تقوم بين احد الرعايا البريطانيين واحد الوطنيين من سكان ممتلكات سمو سلطان مسقط يكون القضاء فيها أمام القنصل البريطاني او الوكيل المقيم او أمام السلطة التابعة لسمو سلطان مسقط التي سبقت الاشارة اليها ولا يجوز سماع شهادة شخص ثبتت عليه شهادة الزور في قضية سابقة ٠

مادة (٦)

الرعايا البريطانيون الذين يموتون في ممتلكات صاحب السمو سلطان مسقط ورعايا سمو سلطان مسقط الذين يموتون في الممتلكات البريطانية٠ تسلم املاكهم الى ورثة كل منهم أو لمنفذي تركته أو المشرفين عليها أما في حالة تغيب الورثة أو المنفذين او المشرفين فتسلم تركته الى القنصل او الى الوكيل المقيم التابع له ٠

مادة (٧)

اذا أفلس أحد الرعايا البريطانيين في ممتلكات سمو سلطان مسقط فان القنصل البريطاني أو الوكيل المقيم يستولي على كل املاك هذا المفلس ويعطيها لدائنيه لتقسم فيما بينهم ٠ فاذا تم هذا أبرأ المفلس ذمته أمام دائنيه ولا يجوز في اي وقت بعد ذلك ان يطالب بسد العجز ، ولا يجوز استخدام الاملاك التي يحوزها بعد ذلك التاريخ لوفاء هذا العجز ٠ ولكن للقنصل البريطاني أو الوكيل المقيم مع ذلك أن يبذل جهده ليحصل ، رعاية لمصلحة الدائنين على ما قد يكون للمفلس من أملاك في بلاد أخرى وأن يتأكد ان كل ما في حيازة المفلس عند افلاسه قد سلم دون تحفظ ٠

مادة (٨)

اذا تهرب أحد رعايا صاحب السمو سلطان مسقط من دفع ديونه المستحقة عليه لاحد الرعايا البريطانيين أو ماطل في دفعها فان سلطات صاحب

السمو يجب أن تقدم الى الرعية البريطاني كل مساعدة لاستعادة المبلغ المستحق له ، وكذلك يقدم القنصل أو الوكيل المقيم كل مساعدة الى رعايا صاحب السمو سلطان مسقط لاسترداد الديون المستحقة لهم قانونا قبل أي رعية بريطاني •

مادة (٩)

لا يجوز ان تجبى ضريبة تزيد على ٥٪ على حدود ممتلكات صاحب السمو سلطان مسقط على أية بضاعة أو غلة أو أنتاج او صناعة من صناعات الممتلكات التابعة لصاحبة الجلالة البريطانية المستوردة على سفن بريطانية •

وتعتبر هذه الضريبة شاملة لرسوم الاستيراد والتصدير وضريبة الحمولة ومصاريف الرخص التجارية ونفقات الارشاد والارساء وغير ذلك من الرسوم التي تحصلها الحكومة على المراكب أو البضائع المستوردة أو المصدرة بهذه الطريقة •

ولا يجوز فرض ضريبة على البضائع اذا نقلت فيما بعد من مكان الى آخر داخل ممتلكات صاحب السمو واذا دفعت الضريبة المذكورة آنفا جاز بيع البضائع بالجملة والقطاعي دون ان يترتب على ذلك أية زيادة في الضريبة ولا يجوز كذلك فرض ضريبة على السفن البريطانية التي تدخل موانيء صاحب السمو بقصد الاصلاح او التموين او التبين حالة السوق •

مادة (١٠)

لا يجوز منع استيراد اي سلعة داخل اراضي صاحب السمو سلطان مسقط او تصديرها منها بل تبقى التجارة بين ممتلكات صاحب الجلالة البريطانية وممتلكات صاحب السمو سلطان مسقط حرة طليقة فلا تخضع الا للرسوم الكمركية على السلع المستوردة التي سبقت الاشارة اليها ويتعهد صاحب السمو سلطان مسقط بألا يسمح بانشاء أي احتكار او منح امتيازات خاصة للبيع داخل ممتلكاته فيما عدا البضائع العاجية وصمغ القوبال في تلك الجهة من الشاطيء الشرقي لافريقية من مرفأ تايخت الذي يقع على خط ٥٫٥ درجة تقريبا من خطوط العرض الجنوبية الى ميناء كويلا الذي يقع حوالى ٧ درجات جنوبي خط الاستواء بما في ذلك هذان المرفآن• أما في سائر الموانيء والاماكن من ممتلكات صاحب السمو فلن يسمح فيها بأي نوع من الاحتكار • ويكون لجميع رعايا صاحب الجلالة البريطانية

ملء الحرية في البيع والشراء لأي كان وممن كان • غير خاضعين في ذلك لأية ضريبة غير ما سبقت الاشارة اليه •

مادة (١١)

اذا نشب نزاع في ممتلكات صاحب السمو سلطان مسقط حول قيمة البضائع التي يستوردها تجار بريطانيون وتجبى عليها ضريبة ٥٪ جاز لمدير الجمارك أو لاي موظف مسؤول يعمل نيابة عن حكومة صاحب السمو سلطان مسقط ان يطلب جزءا من عشرين جزءا من البضاعة بدلا من دفع ٥٪ وعلى التاجر ان يسلم هذا الجزء عند الطلب ما دامت طبيعة البضاعة تسمح عمليا بهذا الاجراء فاذا نفذ التاجر ذلك لم يعد ملزما بدفع اية رسوم جمركية على الـ ١٩/٢٠ جزء المتبقية من البضاعة في أي أي مكان من ممتلكات صاحب السمو سلطان مسقط ينقل اليه بضاعته اما اذا اعترض مدير الجمارك على جباية الضريبة بالطريقة المذكورة سابقا بأخذ جزء من عشرين جزءا من البضاعة او كانت البضاعة لا تسمح طبيعتها بأن تقسم على هذا النحو ، فيحال موضوع النزاع على شخصين ممن هم اهل لذلك احدهما يختاره مدير الجمارك والآخر يختاره المستورد ليقوما بتقييم البضاعة ، فاذا اختلفا عينا حكما بينهما تكون قراراته نهائية ، ويجنى الضريبة وفق القيمة التي تحتسب على هذا النحو •

مادة (١٢)

لا يجوز لاي تاجر بريطاني ان يعرض بضاعته للبيع خلال ثلاثة أيام من تاريخ وصولها الا اذا اتفق المستورد ومدير الكمارك على تثمين البضاعة المذكورة قبل انتهاء فترة الايام الثلاثة • فاذا لم يوافق مدير الجمارك خلال ثلاثة ايام على قبول احدى الطريقتين المقترحتين لتحديد قيمة البضاعة ، فان سلطات صاحب السمو سلطان مسقط ـ بناء على طلب يقدم اليها لذلك ـ تلزم مدير الجمارك باختيار احدى الطريقتين التي يبين ان تجبى الرسوم الكمركية على اساسها •

مادة (١٣)

اذا وقعت حرب بين ملكة انكلترا او صاحب السمو سلطان مسقط وبين بلد آخر فان رعايا صاحبة الجلالة البريطانية ، ورعايا صاحب السمو سلطان مسقط : يسمح لهم بالمرور الى مثل ذلك البلد عبر ممتلكات اي من الدولتين المتعاقدتين حاملين معهم البضائع على اختلاف أنواعها ما عدا

المعدات الحربية • ولكن لايسمح لهم بدخول اي مرفأ او مكان محذور او محاصر •

مادة (١٤)

اذا التجأت سفينة تحمل العلم البريطاني الى مرفأ واقع في ممتلكات صاحب السمو سلطان مسقط وهي في مأزق ، فان السلطات المحلية فيذلك المرفأ تقدم كل المساعدات اللازمة لاصلاح السفينة ومعاونتها على استئناف رحلتها • واذا تحطمت سفينة بهذا الوصف على شواطيء ممتلكات صاحب السمو سلطان مسقط ؛ فان على سلطات صاحب السمو ان تقدم جميع المساعدات التي فيمكنتها لتسلمأصحابالسفينة كلمايمكن انقاذه من الحمولة التي عليها ، وتقدم نفس المساعدة والحماية التابعة لممتلكات صاحب السمو سلطان مسقط ، كما تتبع نفس الاجراءات بازاء ما ينفذ من حمولتها في الاحوال المشابهة في مواني‌ء او شواطيء الممتلكات البريطانية •

مادة (١٥)

يجدد ويؤكد صاحب السمو سلطان مسقط تعهداته التي التزم بها سموه مع بريطانيا في ١٠ سبتمبر ١٨٢٢ • بخصوص القضاء على تجارة الرقيق بين ممتلكاته وبين جميع البلاد المسيحية • ويتعهد سموه زيادة على ذلك بان يسمح للسفن والمراكب الحربية التابعة لشركة الهند الشرقية بمساندة مواد هذه المعاهدة ، والمساعدة على تنفيذها طبقا للشروط الواردة فيها بنفس الطريقة التي يسمح بها في ذلك السفن صاحب الجلالةالبريطانية ومراكبها •

مادة (١٦)

يعترف الطرفان الساميان المتعاقدان ويعلنان بان هذا الاتفاق لا يتضمن ما يقصد منه بحال من الاحوال التدخل في الحقوق والامتيازات التي يتمتع بها حاليا رعايا صاحب السمو سلطان مسقط بالنسبة للتجارة والملاحة في حدود ميثاق شركة الهند الشرقية ، او الغاء هذه الحقوق والامتيازات •

مادة (١٧)

يتم التصديق على هذا الاتفاق ويجري تبادل التصديق عليه في مسقط او زنجبار في اسرع وقت ممكن ، وفي مدة لا تتجاوز في أي الحالات خمسة عشر شهرا من تأريخ عقده •

صدر في الجزيرة بمدينة زنجبار في هذا اليوم الحادي والثلاثين من شهر مايو في سنة ١٨٣٩ • الموافق السابع عشر من شــــهر ربيـــع الاول ١٢٥٥ هجرية •

- ٧ -

حجة تنازل عن جزائر كوريا موريا أصدرها صاحب السمو امام مسقط بحضور الكابتن (فريمنتل) ـ قائد سفينة صاحبة الجلالة (جونو) بتاريخ ١٤ يونيو ســـنة ١٨٥٤

من المتواضع لله سعيد بن سلطان الى كل من يقع بصره على هـــذا المكتوب مسلما كان أو غير مسلم : حضر لدي من الامة العزيزة (انكلتـــرا) الكابتن (فريمنتل) التابع للبحرية الملكية لصاحبة الجلالة يطلب منـــي (جزائري : بن كولفيم) جزائر كوريا موريا ، أي رولانيا ، جبليه ، سودا هامسكي جورزوند) •

وانني بمقتضى هذا أتنازل عن الجزائر المذكورة أعلاه الى الملكة فكتوريا لتكون ملكا لها ولورثتها ولخلفائها من بعدها •

واثباتا لهذا قد أثبت هنا توقيعي وخاتمي عن نفسي وعن ابني مـن بعدي ، وذلك بمحض ارادتي ورضاي ومن غير قهر أو ارهاب ، أو منفعة مالية أيا كانت • وليكن هذا معلوما لكل من يطلع على هذا •

حرر في مسقط في السابع عشر من شهر شوال سنة ١٢٧٠ هجرية الموافق ١٤ يوليو سنة ١٨٥٤

من وضع يدي
تـم بحضوري

سعيد بن سلطان ، امام مسقط
ستيفن • ج • فريمانتل
قبطان سفينة صاحبة الجلالة (جونو)

- ٨ -

رسالة الى صاحب السمو السيد ثويني بن سعيد بن سلطان •
سلطان مسقط ـ عام ١٨٦١

صديقي العزيز المحترم :

أكتب لسموكم في موضوع الخلاف المؤسف الذي شجر بينكم وبين شقيق سموكم ـ حاكم زنجبار ، وتعهدتم سموكم ، في سبيل تسويته أن تقبلوا تحكيم نائب الملك والحاكم العام للهند ، وتقديرا للعلاقات الودية التي ظلت قائمة بين حكومة صاحبة الجلالة الملكة ، وحكومة عمان وزنجبار ، ورغبة في منع الحرب بين الاهل والاقارب ، قد قبلت مهمة التحكيم بينكم وحرصا مني على جمع أكبر قسط من المعلومات عن جميع نقط الخلاف قد طلبت الى حكومة بومباي أن توفد ضابطا الى مسقط وزنجبار لاجراء الاستعلامات اللازمة • وقد اختير البريغادير (كوهلان) لهذه الغاية وهو ضابط تضع حكومة الهند كل ثقتها في حكمته وذكائه وجهاده • وقد قدم البريغادير كوهلان تقريرا كاملا أوضح فيه جميع المسائل التي هي من هذه المسائل وفيما يلي القرار الذي وصلت اليه •

أولا : أن ينادي بصاحب السمو السيد مجيد حاكما لزنجبار والممتلكات الافريقية التابعة للمرحوم سمو السيد سعيد •

ثانيا : أن يدفع حاكم زنجبار سنويا الى حاكم مسقط اعانة قدرها أربعون ألف كراون •

ثالثا : أن يدفع سمو السيد مجيد الى سمو السيد ثويني متأخرات الاعانة عن سنتين أي ثمانين ألف كراون •

واني على ثقة بان هذه الشروط عادلة ومشرفة لكليكما • ولما كنتم قد قبلتم تحكيمي راضين مخلصين ، فأنني أتوقع منكم أن تتقبلوا ما حكمت به ببشر ووفاء • وان يوضع موضع التنفيذ من غير تأخير لا مبرر له •

على أنه لا ينبغي أن يفهم من دفع أربعين ألف كراون سنويا انه اعتراف بتبعية زنجبار لمسقط • أو انه مسألة شخصية بين سموكم وبين أخيكم السيد مجيد ، بل هو ينسحب على خلفاء كل منكم ، ويجب اعتباره على أنه تسوية نهائية ودائمة تعويضا لحاكم مسقط عن تنازله عن كل دعوى له في زنجبار وتصحيحا لعدم المساواة فيما ورثتماه عن والدكما المرحوم السيد سعيد الصديق المبجل للحكومة البريطانية ، وبذلك يصبح نصيبكما في تركته منفصلين وقائمين بذاتهما منذ اليوم •

صديق سموكم المخلص الذي يتمنى لكم كل خير

كانينغ

قلعة وليام
في ٢ ابريل سنة ١٨٦١
الى صاحب السعادة المعظم اللورد (كانينغ) الحاكم العام للهند .. الخ

بسم الله العلي العظيم

بعد التحية في أنسب الاوقات وأسعدها تشرفنا بتلقي رسالتكم الكريمة وقد سررنا بما تضمنته . فأن ما قررتموه سعادتكم يرضينا أتم الرضا ، ولا سيما ما يتعلق بحكمكم بيننا وبين أخي مجيد . ونحن نقبله من قلبنا وان كنا لا ندري كيف نعبر لكم عن أسفنا لما سببناه لكم من ازعاج ، وعن تقديرنا لعطفكم الذي أبديتموه نحونا في هذه المسألة .

اننا نحمد الله على جهودكم من أجلنا ، ونسأله أن يجزيكم خيرا عن حسن مقصدكم . وان يحفظكم عونا لنا دائما . ونرجو أن يظل حبنا ووفاؤنا موجها دائما نحو الحكومة (البريطانية) العظمى ، وأن يظل دائما في نمو وازدياد وأن نحظي فوق ذلك بودكم المقيم ، وعطفكم الكريم ، وأن لا نحرم منهما أبدا .

أما فيما يتعلق بأخينا مجيد فانا نسأل الله ألا يرى منا مدى حياتنا الا كل نية خالصة . ونحن نعتمد اعتمادا كليا على أن ينفذ حكمكم الذي حكمتم به بيننا .

ويكفينا اشارة منكم في كل ما تحتاجون اليه سعادتكم من صديقكم الوفي كي نلبيه . ونحن فخورون بذلك .

حفظكم الله في أعلى درجات الشرف وفي أكمل صحة .
وتقبلوا منا السلام كأحسن خاتمة
٤ ذي القعدة سنة ١٢٧٧ هجرية ١٥ مايو سنة ١٨٦١

من صديقكم المخلص الوفي خادم الله الذي
يعتمد عليه ويؤمن بأنه مصدر كل خير
ثويني بن سعيد بن سلطان

- ٩ -

اعلان بشأن احترام استقلال مسقط وزنجبار سنة ١٨٦٢

رأت صاحبة الجلالة ملكة المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وايرلندا

وصاحب الجلالة امبراطور الفرنسيين ، تقديرا منهما لمـــا للمحافظة عـلى على استقلال صاحب السمو سلطان مسقط وصاحب السمو سلطان زنجبــار من أهمية ، ان يتعهد كل منهما قبل الاخر باحترام استقلال هذين الحاكمين •

والموقعان أدناه ، سفير صاحبة الجلالة البريطانية فــوق العـــادة ، والمفوض بكامل الاختصاصات لدى البلاط الفرنسي ، ووزير خارجية صاحب الجلالة امبراطور الفرنسيين بما عهد اليهما من السلطات اللازمة ، يعلنان بناء عليه وبمقتضى هــذا أن جلالتيهما قد تبادلا هذا العهد قبل بعضهما البعض •

واشهادا على ذلك قد وقع المندوبان على هذا الاعلان ووضعا خاتميهما عليـــه •

حرر في باريس في اليوم العاشر من شهر مارس سنة ١٨٦٢

- ١٠ -

مواد الاتفاقية التي اتفق عليها صاحب السمو السيد تويني بن سعيد بـن سلطان ـ سلطان مسقط ـ في اليوم السابع عشر من شهر نوفمبر ١٨٦٤ بحضور اللفتنانت كولونيل (لويس بيلي) المقيم السياسي لصاحبة الجلالة البريطانية في الخليج الفارسي واللفتنانت كولونيــل (هلبرت داسبراو) الوكيل السياسي لصاحبة الجلالة البريطانية في بركه بمسقط

المادة (١)

يكون لحليفتي القديمة المخلصة الحكومة البريطانية الحرية في انشاء خط أو أكثر من خطوط المواصلات التلغرافية في أية جهة داخـــل الاراضي التابعة لولاية مسقط •

المــادة (٢)

وللحكومة البريطانية كذلك الحرية في انشاء خط أو أكثر من خطوط المواصلات التلغرافية في أية أراضي يمكن ان استأجرها من شاه فارس •

أتعهد عن نفسي وعن ورثتي وخلفائي بأن اقدم ما جاء بهذا وأن أمتنع عن كل تدخل ، وأي تدخل في العمليات التلغرافية التي تقوم بها الحـكومة

البريطانية داخل أراضي مسقط ، أو على مقربة منها •

- ١١ -

معاهدة صداقة تجارة وملاحة بين بريطانيا العظمى ومسقط عـــام ١٨٩١

(وقعت هذه المعاهدة بمسقط في ١٩ مارس سنة ١٨٩١ وتم تبادل التصديق عليها في سنة ١٨٩٢)

لما كانت صاحبة الجلالة ملكة المملكة المتحدة لبريطانيـا العظمـــى وايرلندا وامبراطورة الهند وصاحب السمو لسيد فيصل بن تركي بن سعيد يرغبان في دعم علاقات الصـداقة القائمة بين بلديهما وتوثيقها وفي تعزيز علاقاتهما التجارية ، وتوسيع نطاقها ، فقـد اختارا كمفوضين عنهما في ابرام معاهدة لهذا الغرض كلا من :

عن جلالة ملكة المملكة المتحدة لبريطانية العظمى وأيرلندا وامبراطورة الهند الكولونيل ادوارد شارل روس ، حامل وسام نجمة الهند ، والمقيـــم السياسي لجلالتها البريطانية في الخليج الفارسي •

صاحب السمو سلطان مسقط عن نفسه

ومن ثم فقد أبرما المواد التالية :

مـادة (١)

المعاهدة المبرمة بين الحكومة البريطانية والسلطان سعيد بن سـلطان سلطان مسقط وعمان في ٣١ مايو سنة ١٨٣٩ الموافق ١٧ ربيع أول سـنة ١٢٥٥ هجرية قد ألغيت بمقتضى هذا ، وأصبحت باطلة ، وتحل المعاهـدة التالية محلها بعد التصديق عليها •

المـادة (٢)

يشمل رعايا صاحبة الجلالة البريطانية لاغراض هذه المعاهدة الرعايا الوطنيين لولايات الهند المتحالفة مع جلالتها ، فيكون لهؤلاء ، فورا ومـن غير شرط في جميع ممتلكات صاحب السمو سلطان مسقط ، فيما يتصـل بالتجارة والملاحة والتبادل التجاري وغيرها من النواحي جميع الحقـوق والامتيازات والحصانات والمزايا والحماية أيا كانت طبيعتها التي يتمتع بها •

أو التي يمكن أن يتمتع بها مستقبلا رعايا أو مواطنو الشعوب الاكثر رعاية وبصورة خاصة فانهم لا يخضعون لاعباء اضافية ، أو ضرائب ، أو قيود أو التزامات مهما كان نوعها غير ما يخضع له رعايا أو مواطنو الشعوب الاكثر رعاية ، سواء في الحاضر أو المستقبل ·

المادة (٣)

يعترف الطرفان الساميان المتعاقدان بالتبادل بحق كل منهما في تعيين قناصل يقيمون في ممتلكات الآخر ، كلما اقتضت المصالح التجارية وجود هؤلاء الموظفين ، ويكون لهؤلاء القناصل في البلاد التي يقيمون فيها المكانة التي لقناصل الشعوب الاكثر رعاية · ويوافق كل من الطرفين الساميين المتعاقدين كذلك على السماح لرعاياه بأن يعينوا في الوظائف القنصلية لدى الطرف المتعاقد الاخر على شريطة ان لا يزاول الشخص المعين في هذه الوظائف عمله ، الا بعد موافقة سابقة من الحكومة التي يتبعها ، ويتمتع الموظفون العموميون لكل من الحكومتين ممن يقيمون في ممتلكات اخرى بنفس الامتيازات والحصانات والاعفاءات التي يتمتع بها في تلك الممتلكات الموظفون العموميون المماثلون القابعون لدول أخرى ·

المادة (٤)

تسود بين الطرفين الساميين المتعاقدين الحرية الكاملة في التجارة والملاحة ويسمح كل منهما لرعايا الاخر بدخول جميع المرانيء والخلجان والانهار بمراكبهم ، بما عليها من حمولة وان يسافروا ويقيموا ويزاولوا التجارة بالجملة والقطاعي في ممتلكاته ، أو أن يستأجروا فيها المنازل والمخازن والمتاجر والمستودعات والاراضي ، وأن يشتروها ويتملكوها ويسمح للرعايا البريطانيين في كل مكان بدون قيد أو شرط ، سواء بأنفسهم ، أو عن طريق وكلائهم في المساومة والشراء والمقايضة والبيع بالنسبة لجميع أنواع البضائع والمواد سواء المستوردة أو المصنوعة محليا ، يستوى في ذلك اذا كانت معدة لبيعها في ممتلكات صاحب السمو أو للتصدير ، ويكون لهم الحق في أن يتفقوا مع صاحبها أو وكيله على أسعار جميع هذه البضائع بدون تدخل من أى نوع من جانب سلطات صاحب السمو ، ويتعهد صاحب السمو سلطان مسقط بالا يسمح أو يعترف بانشاء أى نوع من الاحتكارات ، أو الامتيازات التجارية الاستثنائية في ممتلكاته لاية حكومة ، أو مؤسسة أو فرد ·

المـادة (٥)

يسمح لرعايا صاحبة الجلالة البريطانية أن يتملكوا في جميع أرجاء ممتلكات صاحب السمو ، سواء عن طريق الهبة ، أو الشراء ، أو الميراث أو الوصية وبأية طريقة قانونية أخرى الاراضي والمنازل والاموال من أي نوع سواء كانت منقولة ، أو عقارية وأن يحوزوها ، وأن يتصرفوا فيها بالبيع ، والمقايضة والهبة أو غيرها •

المـادة (٦)

يسمح لصاحب السمو السلطان بأن يجبي ضريبة دخولية لا تزيد على ٥٪ من قيمة البضائع بجميع أنواعها التي تستورد من البلاد الاجنبية بالبحر عند دخولها الى ممتلكات سموه • وتدفع هذه الضريبة في الميناء التابع لسموه الذي تصل اليه هذه البضائع • وعند دفعها تعفى هذه البضائع من جميع الضرائب والرسوم الكمركية داخل ممتلكات سمو السلطان ولا تتعرض لضرائب أخرى سواء من قبل حكومة السلطان أو نيابة عنها أيا كان نوع السلعة ، ولا يجوز أن يطالب الرعايا البريطانيون بضرائب استيراد أعلى مما يدفعه رعايا أو مواطنو الشعوب الاكثر رعاية ، وهذه الضريبة بمجرد دفعها تعفى من جميع الرسوم الاخرى التي يفرضها صاحب السمو السلطان على البضائع المختلفة المستوردة من بلاد أجنبية بطريق البحر ، سواء كان الغرض منها الاستهلاك المحلي أو التصدير الى مكان آخر بالجملة أو خلافها وسواء بقيت بحالتها التي استوردت عليه أو حورت عن طريق التصنيع •

وتعفى من دفع اية ضريبة المواد التالية :

١ ــ جميع البضائع والسلع الواردة باسم ميناء أجنبي ، وتنقل بسبب ذلك من سفينة الى اخرى في أحد المرافيء التابعة لصاحب السمو سلطان مسقط ، أو تنزل الى البر بصفة مؤقتة • وتودع في احد مخازن الجمارك التابعة للسلطان ريثما يصل المركب الذي يعاد شحنها عليه الى الخارج • ولا تعفى السلع والبضائع التي تنزل الى البر على هذا النحو من الضريبة الا أن يسلمها المرسل اليه أو وكيله عند وصول المركب كي تختم وتحفظ تحت رقابة الكمارك وأن يخطر الجهات المسؤولة بأنها تنزل الى البر بقصد نقلها الى مركب آخر مع تحديد الميناء الاجنبي المرسلة اليه ، وعلى شريطة أن يعاد شحن هذه البضائع بالفعل الى الميناء الاجنبي المعين في فترة لا تزيد

عن ستة أشهر من تاريخ انزالها الى البر أول مرة والا يتغير اصحابها خلال هذه الفترة ٠

٢ ـ جميع البضائع والسلع التى لم تكن في الاصل مرسلة برسم احد المرافيء الواقعة في ممتلكات السلطان ٠ ثم انزلت فيه خطأ ، وعلى شريطة ان تشحن خارج البلاد خلال شهر من تاريخ انزالها ٠ اما اذا فتحت هـذه البضائع او السلع المذكورة او نقلت من تحت الحراسة الكمركية ففي هـذه الحالة تدفع عنها الضرائب الكمركية كاملة ٠

٣ ـ الفحم ، والمؤن البحرية والمخزونات ، والادوات التي تملكها حكومة صاحبة الجلالة ، وتنزل الى البر في ممتلكات صاحب السمو لاستعمال السفن التي تعمل في بحرية صاحبة الجلالة ٠

٤ ـ جميع البضائع أو السلع التي تشحن من سفينة الى أخرى أو تفرغ في البر لاصلاح الخسائر التي تسببت عن سوء الاحوال الجوية أو النكبات الاخرى التي تقع في البحر بشرط أن يعاد شحنها على نفس المركب ، أو على مركب آخـر اذا كان المركب الذي أصابه العطب قـد أصبح غير صالح للسفر ، او تعطل سفره لاي سبب آخر ٠

المـادة (٧)

لا يجوز تحريم استيراد أية سلع ، الى ممتلكات صاحب السمو سلطان مسقط أو منع تصديرها منه ولا تجبى رسوم تصدير على البضائع المصدرة من تلك الممتلكات الا بموافقة حكومة صاحبة الجلالة البريطانية بالشـروط التي تتضمنها المذكرات التي تتبادل في هذا الصدد ٠

المـادة (٨)

اتفق الطرفان الساميان المتعاقدان ، وأحاطا علما بأنه في حالة وضـع ترتيبات مستقيلة فيما بين صاحب السمو السلطان والدول التي تربطهـا بمسقط معاهدات بموافقة بريطانيا العظمى وتقضي بأن تدفع المراكب التـي تدخل ميناء مسقط رسوما للشحن ، أو الحمولة ، أو رسوم موانيء ، وأن توضع هذه الرسوم تحت تصرف مجلس خاص لتحسين الميـنـاء وانشـاء وصيانة المنارات ٠٠٠ الخ فان هذه الترتيبات لا يجوز أن تؤل شروطها لكي تعفى المراكب البريطانية من دفع رسوم الشـحن ، أو رسوم الميـنـاء أو

الحمولة التي قد يتفق عليها فيما بعد •

المادة (٩)

يكون للرعاية البريطانيين في كل حالة عند دفع النسبة المئوية للرسوم الكمركية المنصوص عنها في المادة (٦) الخيار في دفعها اما نقدا او عينا اذا سمحت بذلك طبيعة البضاعة وذلك باعطاء قدر مواز لهذه النسبة من البضائع أو المنتجات وفي حالة الدفع نقدا تحدد قيمة البضائع ، أو السلع أو المنتجات التي تجبى عنها الرسوم طبقا للسعر السائد في السوق المالية وقت جباية الرسوم • أما البضائع المستوردة من الخارج فتحدد قيمتها حسب السعر في سوق مسقط • وبالنسبة للبضائع والمنتجات المحلية تحدد قيمه حسب سعر السوق في المكان الذي يختاره التاجر لدفع الرسوم • وفي حالة قيام أي نزاع بين الرعايا البريطانيين وسلطات الكمارك بخصوص قيمة مثل هذه البضائع بغض النزاع بالرجوع الى خبيرين اثنين يعين كل طرف واحدا منهما وتكون القيمة التي يحددانها نهائية وملزمة أما اذا لم يتفق الخبيران على رأى فعليهما ان يختارا حكما ويعتبر قراره نهائيا •

المادة (١٠)

يتعهد سمو سلطان مسقط بمقتضى هذه المعاهدة بأن يضع الترتيبات اللازمة ويصدر التعليمات لموظفيه التي تكفل عدم عرقلة سير البضائع (الترانزيت) أو تعويقها ، أو تأخيرها بسبب الاجراءات الكمركية المثيرة للنفوس ، ويتعهد بأن تعطى جميع التسهيلات لنقل هذه البضائع •

المادة (١١)

المراكب البريطانية التي تدخل موانيء في ممتلكات صاحب السمو سلطان مسقط وهي في ضيق يجب ان تتلقى من السلطات المحلية كل المساعدات اللازمة لتمكينها من التموين والاصلاح حتى تتمكن من اتمام رحلتها •

واذا جنح مركب بريطاني على سواحل ممتلكات صاحب السمو فان على سلطات صاحب السمو تقديم كل مساعدة في مكنتها لمساعدة المركب المعطوب حتى تتمكن من انقاذه وانقاذ حمولته ، والكن عليه ، وعليها كذلك أن تقدم المساعدة والحماية للاشخاص الذين يتم انقاذهم • وان تساعدهم

على الوصول الى أقرب قنصلية بريطانية • وان تتخذ كل وسيلة لخـــزن البضائع التي تنقذ في مكان أمين ، وحفظها الى ان تسلم الى صاحبهـا • أو الى قبطان أو وكيل المركب ، أو القنصل البريطاني مع عدم الاخلال بالحقوق المترتبة على الانقاذ •

وعلى السلطات التابعة لصاحب السمو ـ علاوة بذلك ـ أن تتأكد من أن القنصلية البريطانية قد أخطرت على الفور بوقوع الكارثة ، وفي حالـــة نهب مركب بريطاني بعد جنوحه على شواطىء ممتلكات صاحب السمو فان على السلطات التابعة لسموه بمجرد علمها بذلك أن تقدم المساعدة العاجلة وأن تتخذ الاجراءات لاقتفاء أثر اللصوص ومعاقبتهم واسترجاع الامـــوال المسروقة • وكذلك اذا جنح مركب من مراكب صاحب السمو على شواطـىء ممتلكات صاحبه الجلالة فان السلطات البريطانية ستقدم اليها نفس المساعدة والمعاونـــة •

المـادة (١٢)

اذا هرب بحارة أو غيرهم من التابعين لسفن بريطانية حربية أو لمراكب تجـارية والتجأوا الى شواطىء صاحب السمو أو على سفنه فان لسلطات صاحب السمو سلطان مسقط بناء على طلب رسمي من القنصل أو في حالـة غيابه من قبطان السفينة أن تتخذ جميع الاجراءات للقبض عليهم ، وتسليمهم الى الموظف القنصلي أو القبطان ويقوم الموظف القنصلي والقبطان في مثل هذه الحالات بتقديم المساعدات التي يقتضيها الامر •

المـادة (١٣)

يتمتع رعايا صاحبة الجلالة البريطانيـــة فيما يختص بأشخاصـــهم وممتلكاتهم في داخل ممتلكات صاحب السمو سلطان مسقط بجميع حقوقهم الاقليمية التي كانت لهم ولا يحق لسلطات صاحب السمو أن تتدخل في المنازعات القائمة بين رعايا صاحبة الجلالة البريطانية بعضهم البعض • أو بينهم وبين أفراد شعوب مسيحية اخرى ويفصل في مثل هذه الامور سـواء كانت مدنية أو جنائية في نوعها السلطات القنصلية المختصـة ، وتكـــون المحاكمات والعقوبات في الجنح والجنايات التي قد يتهم فيها رعايا بريطانيون في ممتلكات صاحب السمو السلطان • وكذلك بســماع تســوية القضايا المدنية أو الدعاوى والمنازعات التي يكونون فيها مدعى عليهم وهـي مـــن

اختصاص السلطات القنصلية البريطانية ومحاكمها وحدها ، ولا تخضع لولاية قضاء صاحب السمو السلطان وفي حالة قيام منازعات بين رعايا صاحب السمو السلطان أو رعايا دولة غير مسيحية ليس لها تمثيل قنصلي في مسقط ، وبين أحد رعايا صاحبة الجلالة البريطانية ويكون فيها الرعية البريطاني هوالمدعي أوالشاكي فانالدعوى تدفع ويفصل فيها أمامأعلىسلطات السلطان أو امام شخص ينتدبه السلطان وخصيصا لهذا الغرض ، ولا تعتبر اجراءات المحاكمة في هذه الحالة أو الاحكام التي تصدرها شرعية الا اذا سبق ذلك انذار فى فسحة من الوقت تسمح للقنصل البريطاني أو نائبه بحضور المحاكمة والاستماع الى حكمها •

المادة (١٤)

رعايا صاحب السمو السلطان أو أفراد أية أمة غير مسيحية ليس لها ممثلون قنصليون في مسقط الذين يعملون في خدمة رعايا بريطانيين بصفة مستمرة داخل ممتلكات صاحب السمو سلطان مسقط يتمتعون بنفس الحماية التي يتمتع بها الرعايا البريطانيون أنفسهم •

وفي حالة اتهامهم بارتكاب جنايات أو جرائم خطيرة يعاقب عليها القانون • فان مخدوميهم البريطانيين يسلمونهم ، بعد قيم الادلة الكافية التي تسوغ اتخاذ اجراءات أخرى ضدهم أو بناء على أمر القنصل البريطاني الى السلطات التابعة لسمو السلطان لمحاكمتهم ومعاقبتهم •

المادة (١٥)

اذا أعلن اشهار افلاس أحد رعايا صحبة الجلالة من المقيمين في ممتلكات صاحب السمو سلطان مسقط ، فان القنصل البريطاني يضع يده على كل أمواله الموجودة وله حق استردادها وتجميعها كي ينصرف بها ، ويتولى توزيعها طبقا لاحكام قانون الافلاس البريطاني ٥

المادة (١٦)

اذا امتنع أحد رعايا صاحب السمو سلطان مسقط عن دفع الحقوق العادلة المستحقة لاحد رعايا البريطانيين أو تهرب من دفعها ، فان سلطات صاحب السمو السلطان تقدم الى الدائن البريطاني كل مساعدة وتيسر له سبل الحصول على المبالغ المستحقة • ويقدم القنصل البريطاني بطريقة

مماثلة كل مساعدة لرعايا صاحب السمو سلطان مسقط ، وييسر لهم سبل استرداد الديون العادلة المستحقة لهم قبل احد الرعايا البريطانيين ٠

المادة (١٧)

اذا توفي احد الرعايا البريطانيين في ممتلكات صاحب السمو سلطان مسقط أو توفي في مكان آخر تاركا فيها أموالا منقولة أو غير منقولة ٠ فان للقنصل البريطاني السلطة في تحصيل وجمع أمواله ٠ وفي وضع يده على ممتلكات المتوفي كي يتصرف فيها تبعا لنصوص القانون البريطاني ٠

المادة (١٨)

لا يجوز لموظفي سمو سلطان مسقط أن يدخلوا المنازل ، والمساكن والمخازن أو غيرها من الاملاك الخاصة برعايا البريطانيين ٠ أو بالاشخاص الذين هم فعلا في خدمتهم بصفة دائمة داخل اراضي سموه ، أو تفتيشيها لاي سبب من غير موافقة شاغلها الا أن يكون ذلك بعلم القنصل البريطاني أو من ينوب عنه ، أو بمساعدته ٠

المادة (١٩)

يوافق الطرفان الساميان المتعاقدان بمقتضى هذا على أنه في حالة الوصول مستقبلا الى اتفاق بين صاحب السمو سلطان مسقط والدول المختلفة ، بما في ذلك بريطانيا العظمى ، التي قد يرتبط سموه معها بمعاهدات ، توافق عليها بريطانيا حتما وتقضي بأن يدفع المقيمون في أحد الاقسام ، أو احدى المدن ــ بغض النظر عن جنسياتهم ــ ضرائب لاغراض بلدية أو صحية تحددها وتشرف على ادارتها هيئة مخصوصة ــ اتفقا على ان المعاهدة الحالية لا تتضمن ما يفهم منه اعفاء الرعايا البريطانيين من دفع مثل هذه الضرائب ٠

المادة (٢٠)

يتمتع رعايا الطرفين الساميين المتعاقدين كل منهم في ممتلكات الاخر بحرية العقيدة والتسامح الديني ، وبحرية ممارسة الطقوس الدينية علنا ويحق بناء الاماكن المخصصة للعبادة ٠

المادة (٢١)

تسري شروط المعاهدة على جميع المستعمرات والممتلكات الخارجية التابعة لصاحبة الجلالة البيرطانية في حدود ما تسمح به القوانين ما عدا الجهات الواردة فيما بعد يستثنى من ذلك

دومينون كندا
رأس الرجاء الصالح
ناتال
ويلز الجنوبية الجديدة
فيكتوريا
كوينزلاند
تاسمانيا
جنوبي استراليا
أوستراليا الغربية
نيوزلاند

على أنه يشترط في جميع الحالات لسريان بنود هذه المعاهدة على أي من المستعمرات أو الممتلكات الخارجية المذكورة آنفا ان يقدم ممثل صاحبة الجلالة البريطانية بمسقط مذكرة بذلك نيابة عن جلالتها الى صاحب السمو السلطان خلال عامين من تاريخ تبادل التصديق على المعاهدة الحالية .

المادة (٢٢)

حررت هذه المعاهدة من أربع نسخ : نسختين منها بالانكليزية ونسختين بالعربية ، ومن المسلم به ان هذه النسخ متماثلة في مدلولها ومعناها ومعناها على أنه في حالة حدوث أي التباس في المستقبل بشأن التغيير الصحيح للنص العربي أو الانكليزي فيما يتعلق بنص أو أكثر من نصوص هذه المعاهدة يكون النص الانكليزي هو الفصل في كل خلاف ويعمل بهذه المعاهدة قبل مضي شهر على تاريخ تبادل التصديق عليها .

المادة (٢٣)

يجوز تعديل هذه المعاهدة بعد مضي اثنى عشر عاما من تاريخ سريانها وبناء على اخطار مدته اثنا عشر شهرا من أحد الطرفين للطرف الاخر ويتولى تعديلها وزراء مفوضون يعينهم كلا الطرفين ويكون لهم سلطة تقرير التعديلات

التي أثبتت التجربة ضرورتها والموافقة عليها ٠

واشهادا على ذلك قد وقع على هذه المعاهدة وأثبت خاتمه عليها كل من الكولونيل ادوارد شارلس روس نيابة عن صاحبة الجلالة ملكة بريطانيا العظمى وايرلندا وامبراطورة الهند ، وصاحب السمو سيد فيصل بن تركي سلطان مسقط بالاصالة عن نفسه ٠

حرر في مسقط في هذا اليوم التاسع عشر من شهر مارس سنة ١٨٩١ الموافق لليوم الثامن من شهر شعبان سنة ١٣٠٨ هجرية ٠

أدوارد شارلز روس كولونيل

المقيم السياسي بالخليج الفارسي

ويلي ذلك توقيع صاحب السمو سلطان مسقط باللغة العربية ٠

- ١٢ -

اتفاقية بشأن تنازل سلطان عمان عن أراضيه بتاريخ ٢٠ مارس سنة ١٨٩١

الحمد لله وحده

الغرض من تحديد هذا الميثاق الشرعي المبجل هو اثبات ما اعتمده ووافق عليه صاحب السمو سيد فيصل بن تركي ـ سلطان مسقط وعمان من ناحية الكولونيل ادوارد شارلز رواس ـ حامل وسام نجمة الهند ، والمقيم السياسي لصاحبة الجلالة البريطانية في الخليج الفارسي ، بالنيابة عن الحكومة البريطانية من الناحية الاخرى ، وهو أن السيد فيلمصل بن تركي بن سعيد المذكور ـ سلطان مسقط وعمان ، يتعهد ويرتبط عن نفسه وورثته وخلفائه بألا يتنازل ، أو يبيع أو يرهن أو يسمح باحتلال أي جزء من أراضيه في مسقط أو عمان أو في ي من ملحقاتها لغير الحكومة البريطانية واثباتا لابرام هذا الميثاق القانوني المبجل فان السيد فيصل بن تركي بن سعيد سلطان مسقط وعمان والكولونيل شارلز روس ـ حامل وسام نجمة الهند والمقيم السياسي لصاحبة الجلالة البريطانية في الخليج الفارسي ـ الاول بالاصالة عن نفسه وعن ورثته وخلفائه والثاني بالنيابة عن الحكومة البريطانية ـ قد وقع عليه كل منهما بامضائه في حدود الشهود في يومنا هذا

التاسع من شعبان سنة ١٣٠٨ هجرية الموافق لليوم العشرين من شـــهر مارس سنة ١٨٩١ ٠

السيد فيصل بن تركي بن سعيد
سلطان مسقط وعمان
لانسدون
نائب الملك والحاكم العام للهند
اي٠٠ ش٠ روس ـ كولونيل
المقيم السياسي في الخليج الفارسي

صدق عليه صاحب السعادة نائب الملك والحاكم العــام للهنـد في اليوم الحادي والثلاثين من شهر مايو سنة ١٨٩١

سكرتير حكومة الهند للادارة الخارجية
هـ ٠ م ٠ ديوراند

- ١٣ -

التعهد المقدم من سلطان عمان في ٣١ مايو سنة ١٩٠٢ للوكيل السياسي البريطاني في مسقط بشأن مناجم الفحم

(بعد التحية المعتادة) بالاشارة الى رسالتكم التي بعثتم بها الي بشأن تقرير الخبير الجيولوجي ، ووجهة نظر الحكومة في موضوع رواسب الفحم احيطكم علما ان لسيادتكم الحرية في اخطـار الحكومة نيابة عني بأنني في الوقت الحاضر لا أنوي الاضطلاع بهذا العمل بنفسي ، واننا اذا طلبت اية حكومة أو شركة اذنا مني في المستقبل لمباشرة مشروع استخراج المعــادن فلن أوافق على ذلك قبل الاتصال أولا بالحكومة البريطانية لكي تتولى هى العمل معي ـ ان رغبت في ذلك قبل الاتصال أولا بالحكومة البريطانية لكي تتولى هى العمل معي ـ ان رغبت في ذلك هذا ما وجب تحريره حفظكم الله ٠

- ١٤ -

تعهد من سلطان مسقط بالانضمام الى اتفاقية الاتجار بالاسلحة سنة ١٩١٩ ـ ١٩٢١

بتاريخ ٤ جمادي الثانية سنة ١٣٣٩هـ الموافق ١٧ فبراير سنة ١٩٢١

من تيمور بن فيصل (صاحب السمو السلطان)
الى مستر اي٠ ال٠ ونجت ـ قنصل صاحب الجلالة البريطانية بمسقط

بعد التحية ، تلقينا رسالتكم المؤرخة في ١٦ فبراير سنة ١٩٢١ ٠ وقد علم صاحبكم بما أشرتم اليه فيها بشأن الاتفاقية الدولية التي تم الاتفاق عليها في مسألة الاسلحة ٠ وقد دعوتمونا سعادتكم ، بالنيابة عن حكومتكم الى الانضمام الى اتفاقية ١٠ سبتمبر سنة ١٩١٩ ٠ ونحن نقدر هذه الاتفاقية وتنضم اليها ونقبل شروط الاتفاقيـــة الخاصة بالاتجار في الاسلحة ٠

تيمور

- ١٥ -

تعهد من سلطان مسقط بشأن زيت البترول سنة ١٩٢٣ (رسالة مؤرخة بتاريخ ٢١ جمادى الاولى سنة ١٣٤١هـ الموافق ١٠ يناير سنة ١٩٢٣ من تيمـور بن فيصـل صاحب السمو السلطان ٠ الى الميجور راي ـ قنصـل صاحب الجلالة البريطانية بمسقط) ٠

بعد التحية : ردا على رسالتكم رقم ١٧٥١ بتاريخ ١٦ ديسمبر سنة ١٩٢٢ نحيط سعادتكم علما بأننا نوافق على ألا نقوم باستغلال أي بترول قد يوجد في أي مكان داخل أراضينا ، او نمنح تصريحا باستغلالها دون مشاورة الوكيل السياسي في مسقط وموافقة حكومة الهند السامية ٠

ان ما سمعناه من وجود الزيت المعدني بجهة (مسيرة) فلم يتأكد بعد وقد أخذنا نتحرى عن وجود هذا المعدن فيها ، فاذا علمنا عنه شيئا أعقب ذلك مباحثات بين سيادتكم وبيننا حول استغلاله ، واتخاذ الاجراءات والتدابير اللازمة للعمل ٠ والشروط الضرورية ، وسيكون أمره بطبيعة الحال احتكارا فنحن نثق بالمساعدة التامة من حكومة الهند السامية في هذه المسألة الهامة على نحو ما سبق أن امدتنا به دائما من المساعدات التي نحفظها لها ٠

- ١٦ -

(تعهد من شيخ الشارقة بشأن زيت البترول سنة ١٩٢٢)

رســالة من الشيخ خالد بن أحمد ـ رئيس الشــارقة الى النبيل اللفتانت كولونيل أ٠ ب٠ تريفور G.S.T.G.L.E المقيم السياسي ٠

بالخليج الفارسي ببوشير بتاريخ ١٨ جمادى الثانية سنة ١٣٤٠ (١٧ فبراير سنة ١٩٢٢) .

بعد التحية

ان هدفي من كتابة هذه الرسالة الودية هو ابلاغ تحياتي لكم ولكي أسأل عن صحتكم .

وثانيا : ليس بخاف عليكم أنني أكتب هذه الرسالة بمحض ارادتي لاتعهد لسيادتكم بأنه اذا كان ثمة أمل في أن يوجد في أراضي منجم للبترول فلن أعطي امتيازه لاحد من الاجانب ، اللهم الا للشخص الذي تعينه الحكومة البريطانية السامية .

هذا ما وجب تقريره .

ملاحظة : تعهد مماثل أعطي من شيخ راس الخيمة في ٢٢ فبراير سنة ١٩٢٢ .

- ١٧ -

تعهد من شيخ دبي بشأن زيت البترول في سنة ١٩٢٢

رسالة من الشيخ سعيد بن مكتوم - رئيس دبي - الى اللفتنانت كولونيل تريفور G.S.T.G.L.E المقيم السياسي بالخليج الفارسي - بتاريخ ٤ رمضان سنة ١٣٤٠ (٢ مايو سنة ١٩٢٢) .

بعد التحية .

لا يخفى عليكم أننا نوافق اذا ما اصبح من المنتظر وجود النفط فعلي ان لانعطي اي امتياز في هذا الشأن لاحد ما الا للشخص الذي تعينه الحكومة البريطانية السامية .

ملحوظة : اعطيت تعهدات مماثلة للتعهد المذكور أعلاه من كل من الشيوخ المذكورين بعد وفي التواريخ المبينة .

شيخ أبو ظبي بتاريخ : ٣ مايو سنة ١٩٢٢

شيخ عجمان بتاريخ : ٤ مايو سنة ١٩٢٢

شيخ أم القوين بتاريخ : ٨ مايو سنة ١٩٢٢

تعقيب .

هذه هي الترجمة الحرفية لنص المعاهدات والاتفاقات التي فرضتها

بريطانيا منذ اكثر من قرن ونصف القرن من الزمان على حكام القطر العماني ومن دراستها يتبين للمرء كيف سلبت بريطانيا حرية ذلك القطر العربي ، وانزلته من مرتبة السيادة الى مرتبة التبعية ، كما يتبين للبيب كيف سعت في فصل أملاك عمان في شرق افريقية عن عمان في عهد نويني وماجد ابناء سعيد بن سلطان ، وجعلت من نفسها حكما بين الاخوة وكيف تدرجت في ذلك حتى آلت أملاك عمان في شرق افريقية الى مستعمرات بريطانية !

وأترك للقارىء التفكير مليا في ما تضمنته هذه الانفاقات العجيبة ليرى بنفسه مدى الهوة التي تردى فيها اجدادنا باعتمادهم على عدوهم ، واتخاذه صاحبا وصديقا ... وصدق الله العظيم

« ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار »

- ١٨ -

معاهدة ١٨٩٩

المعاهدة مع حاكم الكويت في ٢٣ جنوري ١٨٩٩

المقصود من تحرير هذا الصك الحقانية المعتبر انه قد تحقق العهد والقبول بين كرنل مكلم جان ميد اندين ستاف كار باليوز جلالة الملكة البريطانية العظمى من جانب الدولة البهية القيصرية في طرف وجناب الشيخ مبارك بن صباح شيخ الكويت في الطرف الثاني بأن جناب الشيخ مبارك بن صباح المذكور برضائه واختياره يعطي العهد ويقيد نفسه وورثته واخلافه الى الابد بأن لا يقبل وكيلا أو قائم مقام من جانب دولة أو حكومة في الكويت او في قطعة اخرى عن حدوده بغير رخصة الدولة البهية القيصرية الانكليس ولا يفوض ولا يبيع ولا يؤجر ولا يرهن ولا ينقل بنوع آخر ولا يعطي للسكون قطعة من أراضيه الى دولة او رعيه احد من الدول الاخر يفيد ان يحصل الاجازة اولا من الدولة جلالة الملكة البريطانية العظمى لاجل هذه الارادة وهذه المقاولة أيضا تشتمل على كل قطعة في أراضي الشيخ المذكور التي تكون حالا في تصرف رعايا كل واحد من الدول الغير ولاجل الشهادة لتكميل هذه المقاولة الحقانية المعتبرة المحترمة كذلك ملكم جان ميد اندبن ستاف كار باليوز جلالة ملكة البريطانية العظمى في خليج فارس وجناب الشيخ مبارك الاول منهما من جانب الدولة البهية القيصرية الانكليس

والثاني منهما من جانب نفسه وورثته وإخلافه كل واحد منهما بمحضر الشهود وضعا صحيحهم في هذا اليوم العاشر من شهر رمضان المبارك سنة ١٩١٦ مطابق ٢٣ جنوري سنة ١٨٩٩ .

توقيع	توقيع
مبارك الصباح	الكولونيل ميد
	المقيم السياسي في الخليج الفارسي

توقيع	توقيع	توقيع
الكابتن ويكهام هور	كالكوت كاسكن	محمد رحيم بن عبدالنبي صفر

صودق عليها من قبل سعادة نائب الملك والحاكم العام في الهند في قلعة وليام في السادس عشر من فبروري ١٨٩٩ .

توقيع	ختم
كرزن	دبليو جي كنغهام
أوف كدلستون	سكرتير حكومة الهند
نائب الملك والحاكم العام في الهند	للشؤون الخارجية

ولما أرسلت نسخة من تلك الاتفاقية الى لندن انتقد اللورد (لانسلون) بشدة موقف حكومة الهند في برقية أرسلها بتاريخ ٧ أيلول عام ١٩٠٠م للغموض الوارد في تلك الاتفاقية .

أما سفير الدولة العثمانية في لندن (انتو بيلو باشا) عندما وقف على مضمون تلك الاتفاقية قدم احتجاجا رسميا الى الحكومة البريطانية لقيامها بعقد مثل تلك الاتفاقية مع الشيخ مبارك الذي هو أحد رعايا الدولة العثمانية وعد ذلك تحديا لسيادة حكومته . فأجابه اللورد (لانسلون) بكتاب مؤرخ ١١ ايلول ١٩٠٠م يقول فيه (ان الحكومة البريطانية لا تعتزم التدخل بالوضع القائم في الكويت) فأكتفى بذلك الجواب .

- ١٩ -

اتفاقية لندن بين بريطانيا وتركيا

بدأت في التاسع والعشرين من تموز ١٩١٣ في لندن مفاوضات بين الحكومتين العثمـانية والبريطانية اشترك فيهـا المستر ادوارد غراي وزير

الخارجية البريطانية والسيد ابراهيم حقي باشا سفير تركيا هناك لحل الخلافات القائمة بين الدولتين وقد اشتركت المانيا في تلك المفاوضات عن طريق سفيرها في لندن الامير لخنووسكي وتورد هنا بعض النصوص الهامة في الاتفاقية التي تم التوصل اليها •

المادة الخامسة : يمارس شيخ الكويت الاستقلال الذاتي داخل الاراضى التي تشكل نصف دائرة والتي مركزها مدينة الكويت وقد اشر هذا الخط باللون الاحمر على الخارطة المرفقة بهذه الاتفاقية •

ان جزر ورية ، وبوبيان ، ومسكان وفيلكا ، وعوهة وقاروورة ، وكبر ، وام المرادم ، مع الجزيرات والمياه الاقليمية (الملاصقة) هي من ضمن هذه المنطقة •

المادة السادسة : « ان القبائل الموجودة داخل الحدود المشار اليها في المادة التي تلي هذه المادة ، معترف بكونها بمعية شيخ الكويت والذي يستوفى عشورهم كما كان في الماضي كما يباشر في حقهم المنح الادارية التي تسلم اليه ••• هذا وان الحكومة الامبراطورية العثمانية لا تباشر في هذه المنطقة أي عمل اداري بدون علم ودراية شيخ الكويت كما تمنع عن اقامة حامية عسكرية هناك أو القيام بعمل عسكري مهما كانت دون اتفاق سابق على ذلك مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية ••

المادة السابعة : ان حدود الاقليم المبحوث عنها في المادة السابقة قد ثبتت كما يلي : ان خط الحدود يبدأ من الساحل عند مصب خور الزبير الشمالي الغربي ويمر مباشرة في جنوب ام قصر وصفوان وجبل سنام بحيث تترك هذه المحلات وآبارها الى ولاية البصرة ، ويصل الى الباطن ويتبع ذلك نحو الجنوب الغربي حتى حفر الباطن بحيث يترك ذلك الى جهة الكويت • ومن هذه النقطة فان الخط المذكور يتجه نحو الجنوب الشرقي تاركا الى الكويت آبار الصفا وآبار الكرعة وجبال الوربا واتنا حتى يصل الى البحر قرب جبل منيفة هذا الخط قد اشر باللون الاحمر على الخريطة الملحقة بهذا الاتفاق »

آخر تعهد من الحكومة البريطانية للكويت

عند نشوب الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ ودخول تركيا فيها ضد بريطانيا وجهت الحكومة البريطانية الى الشيخ مبارك الصباح شيخ الكويت التعهد التالي :

بسم الله

سعادة الشيخ مبارك الصباح شيخ الكويت

بعد التحية :

الحاقا برسالتنا المتضمنة خبر نشوب الحرب بين الحكومة البريطانية وتركيا اخبركم بان الحكومة البريطانية قد امرتني ان ابلغ سيادتكم شكرها لولائكم ولعرضكم العون وان ارجوكم ان تهاجموا ام قصر وصفوان وبوبيان وتحتلوها وعليكم بعد ذلك ان تحاولوا بالتعاون مع الشيخ خزعل والامير عبدالعزيز بن سعود وغيرهم من الشيوخ الوثوق بهم تحرير البصرة من يد الاتراك فاذا ما كانت هذه المهمة فوق طاقتكم فعليكم ان تجروا الترتيبات اذا كان ممكنا للحيلولة دون وصول الامدادات التركية الى البصرة او حتى القرنة الى ان يصل الجند البريطانيون الذين سنرسلهم في اقرب وقت باذن الله واني لارجو كذلك ان تصل سفينتان من سفننا الحربية الى البصرة قبل وصول جنودكم اليها ومع أن هدفكم الاول سيكون في هذا الشأن تحرير البصرة الا اننا نرجو ان تبذلوا كل مالديكم من جهد لمنع الجنود وغيرهم من سلب بضائع التجار البريطانيين في البصرة وتوابعها وان تحموا الاوربيين في البصرة وان تؤمنوهم ضد أي خسارة واضطهاد .

ولقد أمرتني الحكومة البريطانية ان أقدم لسعادتكم مقابل هذه المساعدة وعدا باننا اذا ما نجحنا باذن الله فاننا لن نعيد البصرة الى الحكومة التركية ولن نسلمها لهم أبدا .

كما انني أتقدم لكم نيابة عن الحكومة البريطانية ببعض الوعود الخاصة بسعادتكم شخصيا وهي :

١ ـ ان بساتينكم الموجودة في حوزتكم وهي بساتين النخيل الواقعة في

الفاو والقرنة ستبقى ملكا لكم ولابنائكم وستكون معفاة من أية ضريبة •

٢ ـ اذا هاجمتم صفوان وأم قصر وبوبيان وتمكنتم من احتلالها فان الحكومة البريطانية تتعهد بحمايتكم من كل ما ينجم من هذا العمل •

٣ ـ تقر الحكومة البريطانية وتعترف بان مشيخة الكويت حكومة مستقلة تحت الحماية البريطانية •

وتفضلوا

رسدنت وقنصل جنرال الدولة

نوكس

البريطانية العظمى في الخليج العربي

المصادر

١ ـ المصادر الانكليزية والفرنسية :

1. Voyage En Arabie By K. Niebuhr.
2. A Golden Dream By Ralph Hewins.
3 The Portuguese Off The South Arabian Coast By R. B. Serjeant.
4. In The High Yemin By Hugh Scott.
5. Arabian Adventurer By Stanton Hope.
6. Oil In The Middle East By H. Longrigg.
7 Aden 1839-1939 By J. Garsto.
8. Anglo-Turkish Antagonism in Persian Gulf By Ravindar Kumar.
9. An Arab State In The Dawn Of History By P.B. Cornwall.
10. The Go Devils By Wayne Mineav.

٢ ـ المصادر العربية :

١١ ـ الامارات السبع على الساحل الاخضر ـ احمد قاسم البوريني •
١٢ ـ عمان والامارات السبع ـ عبدالقادر زلوم •
١٣ ـ تاريخ الكويت السياسي ج ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ـ حسين خلف الشيخ خزعل •
١٤ ـ الخليج العربي ـ تأليف جان جاك بيربى ـ ترجمة نجدة هاجر وسعيد الغز •
١٥ ـ جزيرة العرب ـ تأليف جان جاك بيربى ـ ترجمة نجدة هاجر وسعيد الغز •
١٦ ـ بترول الصحراء ـ تأليف دافيد فيني ـ ترجمة اسماعيل الناظر
١٧ ـ تاريخ المدنية الاوربية ـ على حيدر سليمان

١٨ ـ مدحت باشا ـ قدري قلعهجي
١٩ ـ جغرافية جزيرة العرب ـ عبدالمنعم الغلامي
٢٠ ـ الاستعمار في الخليج الفارسي ـ الدكتور صلاح الدين العقاد
٢١ ـ العرب والملاحة في المحيط الهندي ـ جورج فاضلو حوراني
٢٢ ـ الجغرافية العمومية ـ تأليف اسمندار وكوك ٠
٢٢ ـ البحر الاحمر والاستعمار ـ الدكتور جلال يحيى
٢٤ ـ نهاية الاستعمار ـ تأليف هوبير ديشان ـ ترجمة زهير السعداوي
٢٥ ـ البرتغال في الخليج العربي ـ محمد عبدالله الطائي (مجلة المعارف)
٢٦ ـ قلب اليمن ـ تأليف محمد حسن المحاويلي
٢٧ ـ آسيا والسيطرة الغربية ـ تأليف ك٠ م بانيكار ـ ترجمة عبدالعزيز جاويد
٢٨ ـ موارد البترول في الخليج العربي ـ تأليف محمود قلعهجي
٢٩ ـ العلاقات التجارية بين العرب والهند ـ السيد سلمان الندوى
٣٠ ـ رحلة السيرافي الى الهند والصين ـ تأليف ابي زيد السيرافي
٣١ ـ على طريق الهند ـ تأليف عبدالفتاح ابراهيم
٣٢ ـ جزيرة العرب في القرن العشرين ـ تأليف حافظ وهبة
٣٣ ـ تجارة العراق قديما وحديثا ـ تأليف يوسف غنيمة
٣٤ ـ العصور القديمة ـ تأليف جيمس برستيد ـ ترجمة داود قربان
٣٥ ـ موجز التأريخ الفارسي ـ سعيد علي
٣٦ ـ التأريخ العثماني ـ عبدالهادي الاعظمي
٣٧ ـ أضواء جديدة على الحروب الصليبية ـ الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور
٣٨ ـ المسألة العمانية ـ اسماعيل ابو هلال
٣٩ ـ الجغرافيون العرب ـ مصطفى الشهابي
٤٠ ـ لمحات من تاريخ العالم ـ جواهر لال نهرو
٤١ـ موجز تأريخ العالم ـ تأليف هـ٠ج ولز ترجمة عبدالعزيز جاويد
٤٢ ـ الخليج العربي والعلاقات الدولية ـ الدكتور محمود على الداود
٤٣ ـ اكتشاف جزيرة العرب تأليف جاكلين بيرين ـ ترجمة قدري قلعهجي
٤٤ ـ بريطانيا والشرق الاوسط ـ تأليف ريدر بولارد ترجمة حسن أحمد السلمان

٤٥ ــ معركة النفط في ايران ــ سليم طه التكريتي
٤٦ ــ معركة النفط في العراق ــ سليم طه التكريتي
٤٧ ــ الإستعمار الامريكي في البلاد العربية ــ سليم طه التكريتي (مخطوط)
٤٨ ــ سكة حديد بغداد ــ برلين والتنافس على العراق ــ سليم طه التكريتي (مخطوط)
٤٩ ــ الصراع على البترول في الخليج العربي ــ سليم طه التكريتي (مخطوط)
٥٠ ــ مشاهدات بريطاني في العراق بقلم جاكسون ــ ترجمة سليم طه التكريتي
٥١ ــ جولة في الخليج العربي بقلم وليمسن ــ ترجمة سليم طه التكريتي
٥٢ ــ حرب البترول في الشرق الاوسط ــ الدكتور راشد الراوي
٥٣ ــ النفط مستعبد الشعوب ــ يوسف ابراهيم يزبك
٥٤ ــ البترول في البلاد العربية (مجلة العروة عدد خاص آذار ١٩٣٩)
٥٥ ــ الكويت ــ للعميد المتقاعد محمود بهجت سنان
٥٦ ــ البحرين ــ للعميد المتقاعد محمود بهجت سنان
٥٧ ــ تأريخ قطر العام ــ للعميد المتقاعد محمود بهجت سنان
٥٨ ــ حقائق عن الجنوب العربي ــ كامل المشاهدي

الفهرس